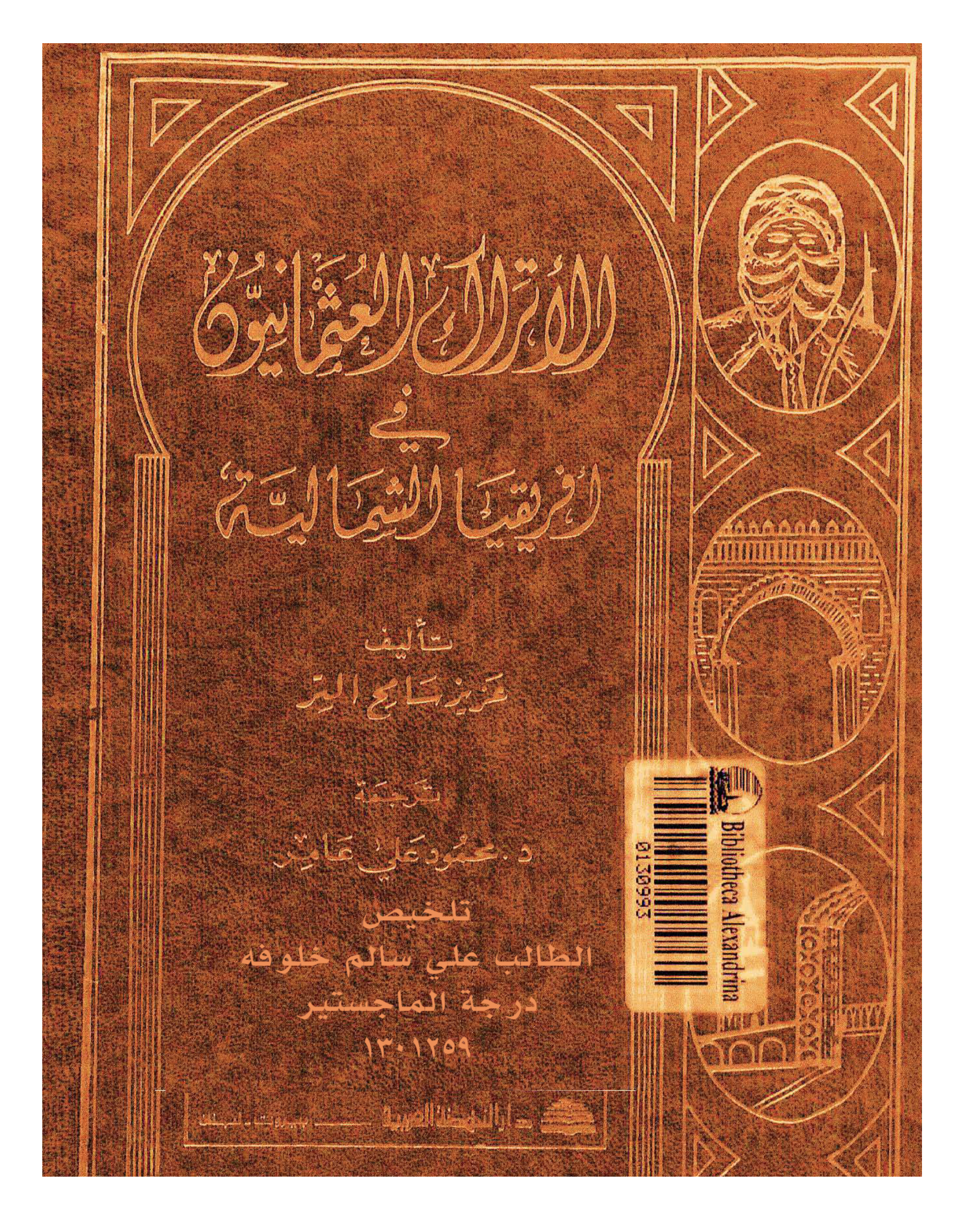

الأتراك العثمانيون
في
أفريقيا الشمالية
تأليف
عزيز سامح إلتر
ترجمة
د. محمود علي عامر
تلخيص
الطالب علي سالم خلوفه
درجة الماجستير
١٣٠١٢٥٩
دار النهضة العربية
Bibliotheca Alexandrina
0130993

تلخيص كتاب

الاتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية

للمؤلف عزيز سامح التر

مقرر

الاستعمار الاوروبي شمال إفريقيا

إشراف

د. تركي الحارثي

الطالب / علي سالم خلوفه

دراسات عليا - ماجستير

الرقم الجامعي/ ١٣٠١٢٥٩

عام ١٤٣٥هـ

مقدمة

شمال أفريقيا تسمية تشمل أراضي طرابلس الغرب وتونس والجزائر فاس وقد قسمها العرب إلى ثلاثة أقسام هي المغرب الأدنى والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى. وفي هذا الكتاب المترجم عن التركية يتحدث المؤلف عن تاريخ الأتراك العثمانيين في أفريقيا الشمالية، وهو يقع في جزئين: الجزء الأول يتألف من أربعة فصول: يتحدث الفصل الأول عن آل برباروس وأصلهم وأسر عروج وإنقاذه ثم ذهابه إلى مصر، كما يعرض الإنفاق إلى برباروس مع حكام فاس، وفشل الهجوم الذي شنه الفرنسيون على تونس والهجوم الإسباني سنة ١٥٠٦م. وتقسيم البلاد وغزو وتلمسان واحتلال أوجده، واستشهاد الريس إسحاق والريس عروج. ويتطرق إلى إنجازات آل برباروس وفشل الهجوم الإسباني والقضاء على الجيش والأسطول، وعلاقتهم بالأتراك والمرابطين والقادريين.

أما الفصل الثاني فهو يتطرق إلى عهد البكربكي وتحرير مدينة الجزائر، والتشكيلات العسكرية لأوجاق الغرب في الجزائر، ثم يعرض لإمرة الأمراء، ومحاولة إسبانيا كسب خير الدين باشا وحسن آغا لمعالجتها وولاية حسن باشا وهجوم الفاسيين على تلمسان وحروب ريو دوسالادون. كما يتناول إمارة أحمد باشا وأوضاع فاس وقصة عبد الملك وعبد المؤمن والتخطيط الإسباني والبرتغالي لاحتلال الجزائر ومحاولة الملك الفرنسي إرسال ملك على الجزائر، ثم يتحدث أخيرا عن إمارة رمضان باشا والسياسة الإسبانية الفاسية والهجوم على

جزيرة قرقنة.

أما الفصل الثالث فيدور حول عهد الباشوات من (١٥٧٨-١٦٥٩) ويتطرق المؤلف من خلاله إلى انفصال أوجاق الغرب، ونشاط القراصنة الأتراك في البحار، ومهاجمة ايسلاندة والهجوم على السواحل الإيطالية ومهاجمة أيرلندة والهجوم على بلتيمور، كما يعرض المؤلف لتمرد القبليين والعلاقات مع الفرنسيين والعصر الذهبي للقرصنة وقطع المباحثات بين تونس باشا والفرنسيين وسيطرة الأتراك على البحر الأبيض المتوسط ثم تأسيس حكومة الأشراف في فاس.

أما الجزء الثاني من الكتاب فهو يتألف من فصلين يعرض الفصل الأول لعهد الدايات حيث يقدم المؤلف معلومات عامة عن عهد الدايات وكيفية انتخاب الداي وتبديله، وفتح الخزينة ثم يتطرق إلى ازدياد نفوذ اليهود في الجزائر، وضرائب فاس وتونس وانهيار القرصنة وتقدم الإسبان نحو تلمسان، والصلح مع الهولنديين وإعلان الحرب على فرنسا. والهجوم الفرنسي سنة ١٦٨٣م، وأحداث فاس سنة ١٦٧٢ وحتى ١٧٢٧م.

أما الفصل الثاني فهو يتطرق إلى فترة الازدواجية (عهد الباشوات- عهد الدايات) ويتطرق إلى أوضاع الإسبان في وهران والهجوم عليها واحتلالها واستسلام المرس الكبير، وطلب الهولنديين الصلح مع الجزائر. ثم يعرض لأوضاع فاس منذ سنة ١٧٢٧م وحتى ١٨٣٠م. والهجوم الإسباني سنة ١٧٨٣م، ويتطرق الفصل كذلك إلى الأحداث بشأن المعاهدة العثمانية النمساوية الروسية، وبما أن الاستبداد خلال حكم الدايات كان يزداد باستمرار فقد قاد هذا إلى الانهيار

والاحتلال واستقلال ولاية الغرب وحرب ١٢ حزيران وسقوط الجزائر.

الفصل الاول

ال بربارو س

بعد أن تمكن السلطان محمد الفاتح من فتح جزيرة مديلي سنة ١٤٧٥م أمر بإبقاء حامية عسكرية فيها وكلفها بالمحافظة على القلعة وكان غالبية الذين رغبوا بالبقاء في الجزيرة من منطقة الاناضول والروم ايلي (الروميلي)فانفصلت الحامية الموجودة فيها عن الجيش وكان من جملة العساكر رجل يدعى يعقوب وهو شاب من الروميلي ومن فرقة الخيالة وقد تزوج يعقوب امة مسيحية فأنجبت له اربعة اطفال أكبرهم إسحاق ويليه عروج ثم خضر وكان اصغرهم الياس .عمل الاولاد الاربعة بالتجارة فاسحاق عمل في جزيرة مديلي وعمل عروج والياس بالسفن التجارية وكانا يذهبان الى طرابلس الشام والاسكندرية اما خضر فكان يذهب الى سلانيك وسيروز واغربوز لممارسة الاعمال التجارية هناك وقد انتفع الاخوة الاربعة من التجارة وضمنوا بلك العيش ولم يعودوا بحاجة الى احد . وفي اثناء احدى الرحلات التجارية لعروج والياس تعرضا لهجوم من قبل فرسان رودس وعلى الرغم من معرفته السابقة في عدم قدرته على التصدي لسفنهم القوية والكبيرة فقد اصطدم معهم واسفرت النتيجة عن استشهاد الياس ووقوعه بالاسر فنقلوه الى جزيرة رودس وسجنوه فيها وحينما اسر عروج كان غنيمة مشتركة بين رجلين احدهما موجود بجانبه بصورة دائمة ولم يكلفه هذا الرجل باي عمل من الاعمال حتى ولا بحفر الخندق وردمه بل قيده بالحديد وتركه يتجول بالجزيرة تاثر اخوه خضر تاثيرا كبيرا لدى سماعه بوقوع عروج في الاسر فاخذ يجمع المال لفدية اخيه وانقاذه وكان يعيش في جزيرة مديلي رجل مسيحي من اصل رودسي وهو يمارس التجارة فيها كما كان ينتقل بتجارته بين رودس ومديلي فتعرف عليه خضر وطلب منه ان يتوسط لفك اسر عروج . اصبح عروج بنتيجة اختلاف الشريكيم مجالا للمساومة وبسبب تدخل شخص اخر غدا ثمن عروج 25الف قجه ذهبية .لم يكن القبطان الثاني راضيا عن هذه الصفقة فباع نصف حصته لشريكه الثاني فاصبح عروج ملكا لشخص واحد فقط . نقل المالك الجديد عروج الى بيته وحالما وصل البيت قيده بالحديد ورماه في

الخندق وبعد مرور عدة ايام تكدر عروج وازداد حزنه والمه فطلب من احد حراسه رؤية القبطان فاخذه اليه فقال الريس عروج للقبطان لماذا قيدتني بالحيد ثانية وتركتني في الخندق فقال له القبطان : وهل تعتقد انني ساتركك فانت لا تعلم كم مره ساضربك بالحديد والعذاب والاذى المخبا لك ولا أي عاقبة ستنزل على راسك وعندما يحين الوقت تفهم ذلك جيدا بعد هذه المناقشة ارسل عروج الى الخندق وفي هذه الاثناء كان السلطان شيخ زادة قرقود واليا على انطاليا وكان يهتم بفداء اسرى المسلمين من ايدي النصارى فهو يجمع بكل ما لديه من ماله تبرعا لوجه الله ويرسل هذا المال مع احد رجاله الى رودس لانقاذ الاسرى المسلمين واعتاقهم من الاسر . وحينما كان الريس عروج في رودس كانت احدى قيوده قد كسرت واثناء سفره كمجدف في السفينة عرض عليه احد اصدقائه اعتناق المسيحية .استغل عروج الموقف فرمى القيد المكسور من قدمه وكسر القيد الاخر مستغلا حالة الارهاق المسيطرة على طاقم السفينة والمجدفين اخرين وبعد ان سلم نفسه لله اندفع بين الامواج وظل يسبح الى ان بلغ الشاطىء فسجد لله شاكرا ثم سار على احدى الطرق بهدوء واطمنان ولحسن حظه كانت احدى القرى قريبة من الساحل فلما بلغها دخل صدفة الى بيت عجوز وشرح لها حالته فاستقبلته واخبرت جيرانها فاسرع القرويون للترحيب به . ولما سكن البحر وهدات العاصفة استعدت السفينة للاقلاع امر قائدها بتفقد المجدفين وقد تبين ان عروجا غير موجود فاضطرت السفينة للبقاء حتى الصباح وللتاكد من هربه كلف قائد السفينة زورقا فيها ثلاثة اشخاص بالبحث . استقر عروج في مصر وبعد مدة من استقراره تمكن من مقابلة سلطان مصر وعرض عليه العمل لديه فقبل سلطان مصر وسلمه سفينة من نوع قادرغة . وفي هذه الاثناء كان سلطان مصر يقوم بانشاء اسطول بحري بهدف ارساله الى الهند فكلف عدة سفن بالذهاب الى خليج بياس لاحضار الخشب الازم لانشاء الاسطول وكانت سفينة عروج من جملة السفن وحينما وصلوا الى المنطقة المحددة نزل بحارة السفن الى البر لجمع الخشب المطلوب . عاد الريس عروج ثانية الى انطاليا وهناك اتصل بواليها الشيخ زادة قرقود وشرح له حالته فامر قرقود باعطائه سفينة تتسع لثمانية

عشر مقعدا وبعد ان جهزت السفينة سلموها للريس عروج انزلها الى البحر وتحرك بها متجها الى رودس مارا بين الجزر وكلما مر على جزيرة هاجمها . وصل الريس عروج الى فوجه وركب سفينته بعد ان استعان بالله انطلق مبحرا بسفينته اولا الى جزيرة مديلي وبعد ان شاهد اقاربه واصل سفره وقد مر اثناء سفره بالقرب من بوليه وبينما كان يتجول في عرض البحر شاهد سفينتين فهاجمهما واستولى عليها وعاد بعدها الى سواحل الروميلي قانعا بصيده وحالما وصل الى المكان المسمى (درزى قياس) . التقى الطرفان وحقيقة الامر صدق عروج حينما قال : بان مصابهم قريب وهم الذين احضروا البلاء

لانفسرهم وقد اسفرت المعركة البحرية عن هزيمتهم واسر عروج ثلاث سفن من سفنهم ومن بعدها توجه الى جزيرة مديلي.توجه عروج الى مصر ولما بلغها قدم عددا من الاسرى لسلطانها وطلب منه السماح له بقضاء الشتاء في الاسكندرية فرحب السلطان واشترط عليه بعض الشروط ومن جملة ماقال له (يمكنك قضاء الشتاء شريطة الا تخاصم احدا او يشكو منك احد) فاجابه عروج بالقبول وكان سلطان مصر الملك الاشرف قانصوه الغوري .

خلاصة عن الشاه زادة قرقود

كان السلطان بايزيد الثاني خمسة اولاد يديرون اجمل خمس ولايات في الاناضول وفي تلك الاثناء كان الشاه زادة قرقودقد عين سابقا في صاروخان وقد جهز قرقود نفسه وتوجه الى مصر سنة ٩١٥هـ / ١٥٠٩م وقابله حاكم مصر الملك الاشرف قانصوه غوري بترحيب عظيم واخبره عن عزمه الحج الى بيت الله وبعد ان سمح له الذهاب عبر الاراضي المصرية وعده الملك الاشرف بالتوسط مع السلطان بايزيد الثاني لحل الخلاف بينهما ز ذهب الشاه زادة سليم والي ولاية كفى الى ادرنة للتحدث مع والده وطلب منه اعطائه ولاية الروميلي ولكنه اعطاه ولاية سمندرة بقصد ابعاده وحينما علم السلطان قرقود بمجيء اخيه الى ادرنة اسرع الى ولاية صاروخان واستولى عليها . وفي ربيع الاول سنة ٩١٧هـ/حزيران ١٥١١م اعلن احد اولاده العصيان والتمرد فهاجمه وهزمه وعاد الشاه زادة سليم الى القرم ايضا وكان الشاه زادة قرقود مثل بقية اخوته يطمه بالحكم والسلطنة لنفسه .اصدر السلطان سليم الاول امرا بمنع اخيه جم من الهروب الى اوروبا كما اصدر امرا يحذر الجميع من السفر والتجول في

الاناضول وكلف ٢٥ قادرغة بتنفيذ امره وفي ٢٧ تشرين الثاني سنة ١٥١٢م قتل بعض اخوته وعين اخاه قرقود واليا على صاروخان فتوجه قرقود الى هناك وارسل رسالة الى اخيه سليم بشان الحكم فرد عليه سليم يمنحه الامان وطلب منه الا يخجل من طلب أي شيء يريده . شاهد القرويون الحصان الرائع الذي يقوده يبالي وشكوا بالامر وتعقبوا يبالي بك سرا الى ان اهتدوا الى مكان قرقود فالقوا القبض عليه واحضروه الى بورصة فامر السلطان سليم بقتله سنة ٩١٩هـ /١٥١٣م . في حين يذكر بعض المؤرخين ان الاخوة بربروس كانوا في المغرب قبل سنة ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م فان المرجع الوحيد الذي يؤكد لنا صحة الاحداث هو (غزوات الريس خير الدين) ان سفر عروج الى المغرب تم بعد فرار قرقود والمصادر التركية تؤكد جميعها ان قرقود هرب سنة ٩١٨هـ /١٥١٢م فهذا يعني ان الاحداث سارت كما ذكرت سابقا ز اطلق الاوربيون على الاخوين عروج وخير الدين لقب بربروس وبما ان لحية عروج كانت حمراء مائلة الى الصفرة فقد اطلق عليه هو الاخر لقب بربروس وفيما بعد عرف باسم خير الدين بربروس واشتهر به اما اصدقاؤه الابطال فكانوا ينادون عروج باسم بابا عروج احتراما وتقديرا له ولم نجد أي بحار او قبطان نودي بهذا اللقب سوى عروج .

كانت تونس تحكم من قبل الاسرة الحفصية وقد قام افراد هذه الاسرة بمساعدة القراصنة وفي بعض الاحيان اشتركوا معهم للحصول على الغنائم لتغطية نفقات العسكر توجه اخوة برباوس الى سلطان تونس وقدموا اليه هدايا كثيرة وطلبوا منه منحهم مكانا يلجاون اليه ووافق السطان الحفصي على ذلك مقابل دفعهم خمس الغنائم شريطة الا يتخاصموا مع سكان المنطقة وقد منحهم مكانا في حلق الواد يسمى (جالطة) للاقامة فيها بشكل دائم . ان بطولات ال بربروس التي نشات بجوار جزر رود س استمرت حتى نهاية العمر فقد جدد هؤلاء ببطولاتهم الجريئة الاعمال البحرية التي وصلتنا من افواههم ولكن بقدر ماهم بسطاء متواضعون الا انهم نقلوا الينا صورا عظيمة من الشجاعة والاقدام . خطط عروج لمهاجمة السفينتين لكن الطاقم المرافق له اعترض على ذلك فرد عليهم بابا عروج برمي قسم من المجاديف التي بحوزته في البحر وبعلمه اجبر بحارته على اتباع طريق وحيد وهو

المهاحمة وبدون مجاديف . تركت هذه البطولات صدى عميقا في تونس والعلم المسيحي وغدت تلك المناطق في حيرة ودهشة للشجاعة التي اظهرها عروج في البحر هذا الانتصار وتلك الشجاعة اكسبته شهره كبيرة من الصعب تصورها فمنذ تلك اللحظة اصبح عروج من اشهر واشجع القباطنة الذين عرفهم ذاك الزمن كما اصبح عروج من اكثر القباطنة البحريين احتياجا للمجاديف ونتيجة لذكائه وخبرته تمكن من تلافي ذلك فقد استخدم عروج الاسرى الطليان الموجودين لديه كمجدفين واسند مهمة القتال للاتراك . انتشر اسم عروج في جميع سواحل الشمال الافريقي متموجا بالفرح والسرور وفي هذه الاثناء طلب منه عبدالرحمن المساعدة من اجل اعادة حقه من حكومة بجاية وعلى الفور لبى عروج طلبه وتوجه على راس اربع سفن الى هناك ووجد عبدالرحمن بانتظاره ومعه ٣٠٠٠ شخص واثناء تحرك عروج الى بجاية شوهد من قبل الاسطول الاسباني فبدا بتعقبه وملاحقته . كانت بجاية محتله من قبل الاسبان وبعد استيلائه على السفن الاسبانية وضعها جانبا ونزل الريس عروج مع ٥٠ مقاتلا .

أما الريس خضر فلشدة تاثره وحزنه على اصابة اخيه تجول في البحر باحثا عن سفينة للاسبان وما ان قطع مسافة حتى صادف سفينة صغيرة في طريقه فالقى القبض عليها ونظرا لقلة اهميتها ارسلها مع اخيه المجروح الى تونس .توقف الريس خضر عن مهاجمة السواحل المسيحية بعدما لمس ان رفاقه القراصنة يرغبون بالاستراحة واللهو قليلا في احدى الليالي المظلمة ذهب الريس خضر لاشعال القناديل فوقع نظره على اربع قطع بحرية فظل يرفبها حتى الصباح الباكر وحينما تاكد من هويتها شن عليها هجوما مفاجئا واستولى عليها واحضرها الى تونس وكانت تحتوي على ٨٠٠٠ لفة من القماش كما لمح في ليل اليوم الثاني لدى وقوفه امام السفن الاربع التي اصطادها سفينة تجارية ولكنه لم يتعقبها لانها وقعت بايدي الرياس الاخرين فاحضروهما الى تونس وكانت سفينة فرنسية محملة بالاخشاب وقد استلسمت السفينة دون أي مقاومة لدى سماع طاقمها باسم برباروس وكانت معظم السفن المسيحية تستسلم فور سماع اسم برباروس . قدم محي الدين الهدايا المرسلة معه الى السلطان العثماني كما سلم الهدايا الاخرى الى اصحابها سر السلطان بهدايا ال برباروس

فوجه اليهم رسالة شكر وتقدير ودعاء بالنصر وتقديرا لذلك امر الريس محي الدين بارسال قادرغتين مجهزتين مع رجل قوي وامين ز لدى طرد الاسبان للمسلمين من اسبانيا اعد الريس خضر مالديه من سفن لنقل هؤلاء المسلمين من السواحل الاسبانية الى السواحل الافريقية وقد انقذ بعلمه الكثير من المسلمين ز انضم الى عروج قرابة عشرين الف متطوع من الاهالي وبعد قصف استمر اربعة ايام سقط الحصن الخارجي وتهدمت الاستحكامات الرئيسية للقلعة فاندفع المتطوعون لمهاجمة القلعة القلعة واستولوا على القلعة الداخلية واسوا خمسمائة شخص عدا القتلى والجرحى اما حصار بجاية فقد استمر مدة اربعة وعشرين يوما ابدى المسلمون خلاله شجاعة قوية . اضطر عروج لاحراق السفن لكي لا تبقى غنيمة للأعداء فالسفن التي تركها في وادي صومان (الوادي الكبير)جفت ماؤها وغدت سفنه على اليابسة وهذا مادفعه لاحراقهاوالتخلص منها ،وذهب سيرا على الاقدام مسافة ٦٠ ميل حتى وصل أسوار جيجل،ويرد بعض المؤرخين ان من اهم الاسباب التي دفعت سلطان تونس للتخلي عن آل برباروس تخوفهم من ازدياد نفوذهم وتصورهم ان عروج واخاه ربما يتوجهان لاحتلال تونس عندما يتمكنان من طرد الاسبان نهائيامن تلك الديار. تجولت الثمان والعشرون سفينة بحرية في المياه الاقليمية الايطالية وبالقرب من جنوه شاهدوا ثمان سفن محملة بالقمح وثلاث عشرة سفينة محملة بالقماش فهاجموهم واسورهم جميعا وبعد ان باع الريس خضر مالديه من الغنائم ودع صديقه مصلح عائدا الى جيجل .

احتلال الجزائر

تصدى سكان الشمالي الافريقي بكل عنف وشجاعة للاطماع الاسبانية والبرتغالية واعلنوا تمردهم احتجاجا على اعمال العنف والاضطهاد التي يمارسونها ضدهم وتزعم المرابطون الثورة والجهاد وهذا مااكسب المرابطين حب الاهالي لهم والتفافهم حولهم .تبنى احمد بن القاضي فكرة الجهاد وصمم على اخراج الاسبان من قلعة بنون ولكنه لم يتمكن من ذلك . حكمت قبيلة مزغنة الجزائر منذ القديم وحينما تولى سالم التومي ادارة الجزائر التجا الى الاسبان بسبب ضعف شخصيته وطلب منهم التدخل ومساعدتهم لاعادة الامور في الجزائر

والقضاء على الثورة التي قامت ضده أيد احمد بن القاضي راي الاهالي وشجعهم على ذلك واخبرهم بان سلامة المسلمين في الجزائر لن تصان الا بتدخل ال برباروس اجتمع الاهالي مع سالم التومي وقرروا دعوة الريس عروج اليهم فارسلوا اليه رسالة يلتمسون فيها مساعدتهم وتخليصهم من الاسبان اعداء الدين وكتبوا له عهدا بالسماح له بالعيش والاقامة في مدينة الجزائر . يعتقد ان عروج قصد من هذه الحركة تامين مكانا للاختباء اليه وقت الشدة او انه كان ينتظر وصول بعض المهاجرين الاندلسيين لضمهم اليه وكسبهم لجانبه . دخل باباعروج الى الجزائر سنة ١٥١٦م وكان باستقباله الامراء والاعيان ووجهاء المدينة واعداد كبيرة من اهاليها ورحبوا به ترحيبا حارا ووعدوه بالوقوف بجانبه اما الريس خضر فقد ترك في جيجل حامية مؤلفة من ٣٠٠ جندي وتوجه الى تونس وهناك تقاسم الغنائم مع مصلح الدين كورت اوغلو الذي لحق به بعد فراقهم في عرض البحر وفي هذه الاثناء وصلت من استانبول قادرغتين مع محي الدين كان السلطان سليم الاول قد ارسلهما هدية الى ال برباروس وبعد ان سلم محي الدين الهدايا ورسالة السلطان قفل عائدا الى استانبول وفي الوقت نفسه وصلت سفينة من جزيرة ميديلي تحمل اخاه اسحاق .اسند الريس عروج للاتراك الوظائف الكبيرة والمهمة كماعمل على تاسيس ادارة جيدة ونظم الضرائب حسب الاصول وقام بترميم واصلاح القلعة والاسوار وزاد في بناء نقاط الاستحكام ووزع الحرس عليها كما ارسل مفارز عسكرية الى القبائل المجاورة والزمهم بالطاعة ثم وجه قوة الى دلس استولت عليها واصدر عفوا عن المذنبين وحذر الجميع من الاخلال بالامن او ارتكاب الفوضى والانحراف ترك ظهور ال برباروس في مياه البحر الابيض المتوسط وتمكن القراصنة الاتراك من فرض سطوتهم وسلطانهم عليه اثرا بالغا اشعر المسيحين بالضيق الشديد ولحقت بهم من جراء ذلك اضرارا كبيرة وخاصة الفرنسيين .فرح الريس عروج برؤية اخيه واصدقائه فرحا شديدا وقد عمد الاتراك بعد تمركزهم في الجزائر على تشكيل حكومة قوية في شمال افريقيا شكلت خطرا كبيرا على الحكومات المسيحية وخاصة اسبانيا التي اعتبرت الشمال الافريقي مناطق نفوذ لها اصطدم الطرفان في قتال دامي ومستميت وخاب ظن القوى المتحالفة بالمقاومة التي واجهوها وتجنبا من تعرضهم جميعا للابادة

اجبروا على الفرار مخلفين وراءهم حمولة ١٢الف جمل من الغنائم واكواما من القتلى واصبح كل فرج فيهم يبحث عن انقاذ نفسه وفي ٣٠ ايلول سنة ١٥١٦م عاود الاسبان الكرة ورسى اسطولهم في ميناء الجزائر وفي اليوم الثاني انزل الاسطول قواته بالقرب من وادي مرسال في مكان يسمى المسبح والمعروف حاليا بموقع الداي حسين شعر الاسبان بعدم قدرتهم على متابعة القتال والصمود اما هجمات باب عروج القوية والخاطفة فاصدر قائد الحملة امرا بالانسحاب وفي الحقيقة لايمكننا تصور الموقف او تقدير القوة المعاكسة التي قام بها بابا عروج فسيوف الاتراك لم تفسح لهم المجال حتى للهزيمة والانسحاب ولم ينج من القوة الاسبانية سوى الف جندي وحتى نجاة هؤلاء كانت بفضل قائد حصار بنون . اما سفنهم فقد دمرتها العاصفة البحرية التي هبت فجاة واستمرت تزداد قوة الى ان القت بالاسطول الاسباني والمكون من ١٤٠سفينة فوق رمال الشاطىء ماعدا السفن الثقيلة فركبها الجنرال دييجوديفيرا عائدا الى بلاده بعدما صفع من قبل صاحب اليد المبتورة الريس عروج فاستقبله الاسبانيون باهاريج السخرية وظل القائد المسكين موضوع سخرية الاسبانين لفترة من الزمن .كان حاكم تنس مولاي عبدالله من عائلة بني زيان ومعظم عائلات الشمال الافريقي تتصف بالقساوة وليس غريبا ان يكون احد افرادها عدوا لاخيه وحتى لنفسه ايضا وعند نشوب أي خلاف مهما كان بسيطا يفر الفرد العادي او الحاكم لتوه يلتجا الى الاسبان وقد تعددت مثل تلك الحالات والاسبان كانوا يلبون رغبة الفارين وترسل قوة لعزل اخيه وتنصيبه مكانه ملكا على البلاد وحتى المعزول اذا التجا اليهم يفعلون ما فعلوه مع الاول وهكذا دواليك وهذا ماجعل الاهالي سامون من لجوء حكامهم الى الاسبان ولكي يتخلصوا من ذلك استنجدوا بعروج طالبين منه انقاذهم من مولاي عبدالله المتعاون مع الاسبان ز في ١١محرم ٩٢٣هـ/ الموافق 3 شباط ١٥١٧م تمكن السلطان سليم الاول من احتلال مصر فارسل له الريس عروج مع الريس مصلح الدين كورث اوغلو الهدايا والتحف الثمينة كتبريك له بفتح مصر وقد عرض عليه مراسيم العبودية والبطاعة واعلم السلطان سليم الاول بما حققه من انتصارات هو ورفاقه الابطال فرد عليه السلطان سليم بجواب تقدير واعجاب وتقبل

عرض عروج بكل ممنونية.

غزو تلمسان :

تقع مدينة تلمسان في وسط المغرب وهي تحتل اهمية كبرى نظرا لاهمية موقعها ومكزها الهام ففي شمالها يقع سهل هنايا الواسع والممتد باتجاه الغرب اما من الطرف الجنوبي فتحتضنها جبال ذات صخور حمراء وتشكل لها حصنا طبيعيا من الصعب على الغزاة اختراقه . كانت مدينة تلبسان قديما تقع في الجهة الشمالية الشرقية لمدينة اغادير وكانت تسمى بوماريا وفيما بعد قام يوسف بن ناشفين بتاسيس مدينة تقرات مع نهاية القرن الحادي عشر الميلادي ثم امر بضمها الى مدينة اغادير وعلى بعد ثلاث كيلومترات منها يقع موقع المنصورة . وبقدوم الاتراك الى الشمال الافريقي غدت ارضا محرمة على الاسبان وقد شعر ابو حمو الثالث بالخطر فاتصل بالاسبان واتفق معهم سرا لطرد الاتراك من الجزائر قبل ان يستفحل خطرهم على المنطقة وتعهد بمهاجمتهم من ناحية البر على ان يتكفل الاسبان بمهاجمتهم بحرا .كان حاكم وهران وقائدها ماركي ديغومارس من اكثر المتحمسين لذلك ولم يكن اهالي تلمسان راضين عن حكم بني زيان لهم بسبب ارتباطهم مباشرة بالاسبان كذلك فلم ينسوا مافعله ابو حمو الثالث بابن اخيه واغتصابه للسلطله منه وكانوا يدركون جيدا حرصه على الارتباط بالاسبان وهذا ما ادى الى كرههم له اضافة الى انه اثقل كاهلهم بالضرائب وغدا الاسبان كانهم حكام تلمسان الحقيقين زعلم عروج واخوه بما يجري في تلمسان واستعد الاخوان للرد على أي حركة تصدر عن الاسبان ومؤيديهم ولم يستطيع الاهالي تحمل الاهانات التي لحقها ابو حمو لهم نتيجة لارتباطه ارتباطا وثيقا بالانسان فشكلوا وفدا وكلفوه بالذهاب الى الريس عروج لطلب المساعدة منه وانقاذهم من الحكام الغرباء سر عروج بطلب الاهالي تلمسان لانه كان يتشوق لذلك فاعد قواته وتوجه الى تلمسان بعد ان ترك اخاه خضر نائبا له في الجزائر سلك عروج اثناء توجهه الى تلمسان الطريق الواقعة شرق وهران والبعيدة عن مسكره تحسبا من وقوعه في أي كمين مفاجىء وتابع طريقه باتجاه قلعة بني راشد وقبل وصوله الى تلمسان باربعة فراسخ اصطدم مع جيش الاعداء مؤلف من ثلاثة الاف جندي وستة الاف خيال لكن عروج تمكن من الانتصار

عليه ولاحقه حتى تلمسان وقد حاول ابوحمو دخول المدينة لكن الاهالي اغلقوا ابواب المدينة ومنعوه من الدخول وحالما وصل عروج فتحوا له الابواب واستقبلوه بالترحاب .قام عروج بعد اعلامه استانبول بالانتصارات التي حققها وما يحتاجه من قوات ومعدات حربية وبتطبيق النظام ففرض اجراءات امنية شديدة وضرب

بقسوة مثيري الشغب والاشقياء كما ارسل مفارز عسكرية الى المناطق المجاورة لاخذ الطاعة منها و قام باحتلال وحدة ونبدة واخضع قبيلتي بني عامر وبن ايسناسن ولم تكن قوات عروج اثناء سيره الى تلمسان كافية الى الحد الذي يمكنه من التصدي للقوات الاسبانية التي اعطيت لابي حمو . اما من الناحية السياسية فقد اجرى عروج اتفاقا مع بني وطاس حكام قاس ضد الاسبان وبنفس الوقت قام الريس عروج باصلاح وترميم جميع اسوار القلعة وابراجها وتعزيز نقاط الاستحكام فيها كما قام بجمع الضرائب من المناطق المجاورة وبتخزين كميات كبيرة من المواد الغذائية وامن احتياجاته من المعدات الحربية والبارود وبما ان ابا حمو قد التجا اولا الى قائد وهران الاسباني ماركي دي غومارس الذي زوده بتقرير ليقدمه الى الملك الاسباني وكتب في التقرير الذي سيعرض على المجلس الملكي الاسباني .ذهل ماركي دي غورمارس عندما سمع بما حدث لقواته في قلعة بني راشد وعلى الفور ارسل قوة اخرى مع ابي حمو تتالف من الفي جندي اوربي كما جهز قوة اضافية من الاهالي مقابل مبالغ من المال وارسلها الى قلعة بني راشد بعدما عهد الى مارتن دارغوث بقيادتها عمد مارتن داغون فور وصوله الى تطويق القلعة بقصد محاصرة الاتراك وقطع امدادات عنهم ولكسر الحصار الذي فرضه الاسبان عليهم . قام الريس اسحاق مع اسكندر بشن عدة هجمات خاطفة على القوات الاسبانية والحقوا به خسائر فادحة لكنهم فقدوا عددا كبيرا من الشهداء الابطال اما الاهالي الذين يقاتلون مع الاتراك فقد انسحبوا من القلعة وبانسحابهم بدا الخوف والارباك ينتشر بين صفوف المقاتلين وخاصة بعدما علموا بنفاذ مالديهم من ارزاق . عهد ماركي دي غومارس الى مارتن دارغوث بترتيب وتنظيم القوات المزمع ارسالها الى تلمسان اما القوات القوات القادمة من اسبانيا والبالغ عددها عشرة

الاف جندي فقد نزلت في منطقة راشكون وهناك انضم اليهم الاهالي ومن ثم تحركوا باتجاه تلمسان كما انضم اليهم في الطريق عددا من اللصوص والمشاغبين ممن يجدون فرص عيشهم في مثل تلك الفرص وعلى الفور عمد مارتن دارغوث الى فرض حصارمحكم وعنيف على تلمسان لقاء ذلك قام الريس عروج بالدفاع عن المدينة بشكل مستميت ودام الحصار ستة اشهر وخلال هذه المدة كان القتال يستمر ليل نهار ولكن الاعداء تمكنوا من السيطرة على نقاط الاستحكام فاقيمت المتاريس وسط المدينة وتحولت المعركة الى قتال شوارع وبعد ان فقد عروج مع قواته السيطرة على المتاريس الداخلية انسحب الى القلعة الداخلية وحتى ضمن القلعة استمر يقاتل بشراسة مدافعا عنها بكل قوته .استغل عروج ظلام الليل وخرج من بين صفوف الاعداء دون ان يشعر به احد واتخذ طريقه بكل شجاعة وقوة ولم يشعر الاسبان بخروجه الا بعد عدة ساعات وحالما علموا بذلك كلفوا مفرزة من الخيالة بملاحقته وفي اليوم التالي لحقت به المفرزة مابين زاوية سيدي موسى و ممر ريودي سالادو وادرك عدم قدرته بمن معه من القلة التركية على المواجهة وبقصد انشغالهم عن ملاحقته قام بالقاء بعض مالديه من المال والاشياء الثمينه لكن ذلك لم يفد فقد استمرت المفرزة بملاحقته بقيادة الفيرز غارجيادي تينئو واجبرته على الاتجاه الى خرابة قديمة وبدا التصدي لهم في معركة لا خيار فيها وظل يقاتل رغم يده المقطوعة الى ان قل بعدما رماه الفيرز غارجيا برمح في صدره في اب ١٥١٨م فقطه راسه المبارك وحمله مع البسته البحرية المزركشه مع الشال الذهبي الذي كان يلف خصره به الى وهران ثم ارسلت البسته الى اسبانيا وقدمت هدية الى كنيسة (سانت جيروم) في قرطبة فصنع منها رجال الدين هناك شعارا يسمى (شارة بربار وس)وهكذا استشهد الريس البطل عروج مؤسس حكومة الجزائر ولم يكن لعروج اولاد لكن اوصافه وخصاله الحميدة بقيت راسخة في اذهان الاعداء والاصدقء على حد سواء وغدت موضع فخر واعتزاز للاتراك ولدى استشهاد عروج قال الريس خضر معبرا عن المه وحزنه لفقدان اخيه عروج :لوتمكنت من قتل جميع سكان بلاد الافرنج بالسيف لما استطعت استرداد ثار اخي ورفاقه .

بعد استشهاد الريس عروج اتفق جميع اصدقاؤه على تسليم القيادة من بعده لاخيه الريس

خضر بتاريخ ٩٢٤هـ/ ١٥١٨م وكان الريس خضر متاثرا جدا بسبب هزيمة اخيه عروج ومقتله مع افضل العساكر ممن كان يعتمد عليهم ويتصفون بشجاعة فائقة واستقامة نادرة وعلاوة على ذلك فقد تخلى بعض الاصدقاء الاشداء عن الريس خضر لعدم ارتياحهم له ولشعورهم بان الريس خضر لن يكون بديلا عن الريس عروج كما اعلنت القبائل المؤيدة لعروج عصيانها وتمردها على قيادة خضر.اثناء هجوم الاسبان على تلمسان تمردت تنس وشرشال لدى عودة حكامهم القدامى وبنفس الوقت بدا احمد بن القاضي يحرض الاهالي والقبائل ضد الريس خضر بهدف خلو الساحة من منافس له ازاء ذلك كلف الريس خضر عساكره ومؤيديه بالتوجه الى تنس وشرشال لتاديبهما تاديبا لائقا بهم في حين ترك تاديب القبائل القوية الى وقت اخر . وقد ظهر انذاك كان نجم بني عثمان يسطع كاقوى نجمة فارسل رسالة الى السلطان سليم يعرض عليع خضوعه وتبيعته له شارحا في رسالته مدى حاجته اليه وطالبا منه المساعدة ومد يد العون .قبل السلطان سليم الاول عرضه قبولا حسنا وارسل له مع الحجي حسين احد عبيد المقام العالي سيفا مرصعا وصنجق (علم) وزوده بعدد من الرجال وفي الطريق

اعترضتهم سفينة تابعة للبندقية فاسرتهم وقتلت عددا منهم اما الحجي حسين فقد نجا مع ثلاثة من رجاله فاتجه الى مينون ومنها الى استانبول مورس بضغط كبير على سفير البندقية فاعيدت السفينة وتحرك الحجي حسين ثانية الى الجزائر سر السلطان سليم الاول بعد فتحه لمصر بعلان خير الدين تبعيته له فبإعلان خير الدين التبعية للدولة العثمانية تامنت حدود مصر الغربية وتوسعت املاك الدولة العثمانية بدون بذل أي جهد او مصاريف وغدت بذلك من اكبر الول الاسلامية وبنفس الوقت فتح مصر اخاف حكومات شمال افريقيا كذلك فان الرسائل التي ارسلها السلطان العثماني الى سلطان تونس وتلمسان اشعرتهما بالرعب والخوف وذكر لهما في الرسائل (تعلمون ان الاتراك تمركزوا في الجزائر وانهم اصبحوا حكامها واهمال التفكير بالجيرة يشكل خطرا كبيرا عليكما فالحاكم خضر شجاع وعنيد وحريص ومستعد للتضحية فاذا لم نتمركز في البلاد ولم نكن اقوياء فان بلادنا

ستكون عرضة للاحتلال من قبل الاعداء وهوامر معلوم لذلك ادعوكم جميعا لاخذ الاحتياطات اللازمة) . في سنة ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م توفي السلطان سليم الاول وخلفه ابنه سليمان القانوني وقد اتبع السلطان سليمان طريق والده في الحكم والمحافظة على الولايات التي خضعت لسيطرة العثمانيين . حكم خير الدين الجزائر باسم السلطان العثماني وصك العملة باسمه وقد تخوف خير الدين من كثرة حدوث التمردات والعصيانات وحدوثها هو الذي دفعه للارتباط بالدولة العثمانية وضمان الجزائر من الخطر الاسباني . دخلت القبائل التي تقطن السهول المجاورة الى مدينة الجزائر خفية ومعها اسلحتها في حين ذهب قسم منها الى الساحل حيث ترسو سفن قراصنة الاتراك من اجل اشعال النار فيها وذلك وفقا للخطة المرسومة فحينما يشاهد القراصنة ان النار تشتعل في سفنهم فيسرعون لاطفائها وحالما يخرجون من المدينة يقوم الاهالي باغلاق ابواب المدينة .كان والي وهران مصمما على اخراج الاتراك من الجزائر فاتفق مع حاكم تلمسان وعرضا على شارلكان الاخطار الناجمة عن بقاء الاتراك يضاف الى ذلك فان شارلكان كان متاثرا لهزيمة قائده دون دييجودويفيرا ولديه نيه مسبقة بفكرة شن حرب ضد الاتراك وبناء على تحريض قائد وهران وحاكم تلمسان وهواجسه الاستعمارية التوسعية امر نائبه في صقليه (هوجر دومنكاد) بتجهيز جيش من العساكر القدامى وكلفه باحتلال الجزائر . وفي ١٨ اب انتشرت القوات الاسبانية حتى بلغت كدية الصابون وتمركزا فيها بعدما اقموا عدة بطاريات فيها استعدادا لقصف المدينة وللبدء بالقصف كانوا منتظرين وصول قوات سلطان تلمسان . بدا الاسبان هجومهم وخلال يومين من بدء المعركة ظهر العياء والانهاك على القوات الاسبانية فبدات بالتراجع والانسحاب وفي اليوم الثالث شكل الريس خضر فرقة من خمسمائة شخص وكلفها بحرق ارزاق الاسبان ومهماتهم الموجودة على الساحل .امر الريس خضر بقطع رؤوس الاسرى بالسيف انتقاما لاستشهاد اخيه الريس اسحاق (الذي قتل بعد ان سلم نفسه) وقد انسى هذا النصر المؤزر الجزائريين هزيمته الاتراك في تلمسان وفاقت شهرة الريس خضر شهرة ونفوذ اخيه الريس عروج . امتلأ سجن المجدفين بالاسرى الاسبانين ووزع الزائد على الاهالي ونتيجة لكثرة عددهم انتشر الفساد والمرض بينهم فاخذوا يخططون للهرب وفي

اثناء ذلك قدم شخص اسباني للتباحث مع الريس خير الدين لافتداء الامير والقباطنة وكلفته دولته بدفع فدية مقدارها ١٠٠,٠٠٠ليرة لكن علماء المسلمين واعيان الجزائر اعترضوا على الفدية المقدمة بحجة ان هؤلاء القباطنة اقوياء ولديهم الخبرة البحرية الجيدة وفي المستقبل قد يلحقون الضرر بالديار الاسلامية وقالوا ان فديتهم يجب الا تقل عن ٢٠٠,٠٠٠ ليرة وحينما علم الاسرى بما جرى اثناء التباحث تمردوا واعلنوا العصيان والامتناع عن الطعام وبداو يخططون للفرار . احس الاتراك بعد تمركزهم في الحزائر ان الخطر سياتي عليهم من تونس وتلمسان لذلك بدا الريس خيرالدين يخطط لاخضاعهم الى سيطرته وبما ان الجزائر كانت قديما مرتبطة بتونس ولذا فان سلطان تونس اعتبرالريس خير الدين شخص عاص ومغتصب فبدا هو الاخر لاعادة الجزائر الى دائرة نفوذه وطرد خير الدين منها . اعلنت القبائل المجاورة لمدينة الجزائرعصيانها وتمردها فاضطر خير الدين الى تاديبها اعلن احمد بن القاضي عن تحالفه مع خير الدين فجهز قواته وانضم اليه وحينما كان خير الدين يحارب القوات التونسية انقلب احمد بن القاضي وجنوده على خير الدين الذي وجد نفسه بين نارين والحق به من جراء هذا التامر خسائر فادحة ولم ينج الا هو وقليل من رجاله . اثر الهزيمة التي لحقت بخير الدين فقد نفوذه خارج مدينة الجزائر كذلك فقد اعلن الجزائريون عن تمردهم وعصيانهم الا انهم لم يملكوا الشجاعة على مهاجمة الاتراك الموجودين في القلعة وبما ان علاقة الاتراك لم تكن حسنة مع المناطق المجاورة لذالك بقي الاتراك بدون ارزاق ولوازم واصبح خير الدين شبه محاصر . ان ماقدمه خير الدين من تضحيات بالاموال والارواح بقصد جعل هذهه البلاد نقطة استناد للاسلام يضطر مكرها على تركها بعدما عمل خلال السنوات الثلاث الماضية على صيانتها وتدريب اهلها على الالتزام بالنظام اضافة الى ماحققه من انتصارات رائعة رفع فيها اسم الجزائر عاليا وفي الصباح الباكر ركب الريس خير الدين برباروس قادرغاته متوجها الى جيجل فرحب اهاليها بصديقهم القديم .كانت جيجل خلال ذلك تتعرض لقحط شديد فخرج الريس خير الدين الى البحر وهاجم السواحل

الاوربية ثم عاد الى جيجل محضرا تسع سفن محملة بلقمح فوزعها على الاهالي وبعمله الانساني الرائع رفع الفاقة عن اهالي جيجل .بدا خير الدين بانشاء دار للسفن في جيجل فقد انشا سفينة تحتوي على سبعة وعشرين مقعدا من نوع باشتاردة وبعد الانتهاء من تجهيزها سفن بشكل كامل خرج الى الغزو بتسع سفن وبالقرب من السواحل التونسية استولى على عدة سفن عائدة لسلطان تونس فاحرقها ثم تابع طريقه الى سواحل جنوه وهناك استولى على ست سفن محملة بالقمح فاستولى عليهم وارسلهم الى جربة وعند عودته وزع القمح على اهالي الجربة وبغية توسيع دائرة هجماته نادى الريس ايدين والريس شعبان وبقية الرياس وجمعهم حوله مكونا اسطولا بحريا مؤلفا من اربعين سفينة بحرية وبدا بمهاجمة السواحل الاوروبية المطلة على البحر الابيض فقلبها راسا على عقب وقد احس سلطان تونس ان عاصفة بحرية تدور حول راسه فلجا الى ارسال الهدايا والوسطاء لاجراء مصالحة مع الريس خير الدين لكن الريس خير الدين رفض مصالحته رفضا باتا وصمم على مهاجمته .

- حكومة الريس خير الدين في جيجل :

انسحب الريس خير الدين الى جيجل سنة٩٢٧هـ/١٥٢٠م فدل احمد بن القاضي الجزائر مع مقاتليه الجبليين ونتيجة للمظالم التي ارتكبوها من سلب الاهالي غدا الجزائريون اكثر حبا وتقربا للاتراك فالاسبان لم يتحركوا لاغتنام فرصة انسحابه كما انهم لم يقوموا باي حركة طوال هذه الفترة فاستغل خير الدين هذه فرصة انسحابهم كما انهم لم يقوموا باي حركة طوال هذه الفترة فاستغل خير الدين هذه الفرصة وقام بتقوية نفوذه المعنوي والمادي فمنح القراصنة صلاحيات واسعة وقدم لهم الغنائم الكثيرة والقيمة فضمن بذلك جذب اكبر قوة فدائية للعمل معه وغدت تاتمر بامرته .وخلال السنوات الخمسة الواقعة بين ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م و ٩٣٢هـ / ١٥٢٥م استطاع تمكين نفوذه واستعادت قوته القديمة . وفي سنة ١٥٢٥م اتجه الريس خير الدين الى قبيلة بن العباس واتفق مع لسطانها وكانت هي المرة الاولى التي يتوجه فيها الريس خير الدين الى مناطق القبائل ويحقق انتصارا حاسما هناك . التقى الريس خير الدين مع احمج بن القاضي في وادي بوقدوره وخلال ساعات قليلة من القتال انهزم احمد بن القاضي منسحبا الى ممر في جبل بني عائشة ووجد بين قوات ابن القاضي

عساكر سلطان كوكو ممن انضموا الى قوات خير الدين وقدر عددهم ب ١٨٠٠مقاتل مسح بالبنادق فازدادت قوة خير الدين بانضمامهم اليه . وبمقتل قره حسن لم يبق حاجة للحرب لان ابواب مدينة الجزائر وطرقها مفتوحة امامه فدخل الريس خير الدين الجزائر معززا مكرما سنة ١٥٢٥م .

ب-خير الدين في الجزائر :

دخل الريس خير الدين الجزائر بلا مقاومة وعمل مباشرة على اعادة الجزائر التي عرفها سابقا فبدا اولا بضرب المتمردين بشدة وداب خلال سنتي ١٥٢٦م / ١٥٢٧م على ملاحقة العصاة وحرص على ذلك فالقى القبض على حكام تنس وشرشال وقطع رؤوسهم وفرض سيطرته من جديد على الساحل الممتد من جيجل حتى وهران وفي سنة ١٥٢٨م تمردت قسنطينة وقتلت القائد الذي عينه خير الدين عليها . حقق الريس خير الدين بعد دخوله الجزائر انتصارات واسعة فقد لاحق اعداءه وضربهم بشدة ووطد الامن والاستقرار واخضع المدينة للنظام فخاف قائدا قلعة بنون من نشاط خير الدين ولكي لاتداهمه عاصفة خير الدين فجاة طلب من دولته تزويده بالمعدات والاسلحة ولكن دولته لم تصغ الى طلباته . كان وجود الاسبان في قلعة بنون يشكل خطرا كبيرا ومباشرا على مدينة الجزائر لان الجزائريين كانوا يعيشون وجودهم في هذه القلعة اهانة كبيرة لهم اضافة الى ذلك فان السفن الجزائرية كانت تواجه مصاعب عدة الذهاب والاياب . لم يجد دون مارتن وسيلة بعد انهيار معنويات جنوده سوى القتال بنفسه فاخذ سيفه ووقف امام الثغرة يقاتل بقوة شديدة لكن الاتراك انتصروا عليهم وتمكنوا من عبور الثغرة واسوا الاسبان الموجودين فيها وكان عددهم سبعمائة جندي . عقب تاسيس ميناء الجزائر انصرف خير الدين الى تشجيع القراصنة البحرية وبدا نشاط الجزائريين يزداد شيئا فشيئا واصبحت الجزائر تسيطر على البحر الابيض المتوسط وقراصنتها القوة الضاربة والشجاعة في مياهه . بعد سقوط القلعة بعشرة ايام قدمت اليها تسع سفن اسبانية محملة بالاسلحة والمعدات وبناء على طلب مارتن دي فرغاس لكن قادة السفن لم يشاهدوا أي اثر للقلعة. حقيقة الامر لقد استحق الريس ايدان

اللقب الذي منحه اياه الاسبان (ضارب الشيطان) في هذه الليلة وتلك المعركة ولكي يتمكن الريس ايدان من التحرك والمحاربة بشكل افضل انزل اولا الاولاد والنساء لانقاذهم من الهلاك ثم انطلق كالشيطان يهاجم الاسبان بقوة ومهارة فذهل الاسبان واصبحوا وسط دائرة من الارباك لم يشهدوا لها مثيلا في تاريخ القتال البحري فبداوا بترك سفنهم والاتجاه الى البحر مفضلين الغرق على الموت بالسيف وتمكن

ايدان من قتل الاميرال . وقد اعجب خير الدين بشجاعة ومهارة الريس ايدان واخبر السلطان بهذا النصر العظيم الذي حققه الريس ايدن ورفاقه الابطال .

ج-اوضاع جيران او جاق الغرب في الجزائر :

كانت حكومة بني مرين في فاس تعاني الضعف والانحطاط ولهذا فقد عمل الاشراف السعوديون في مراكش على تقوية نفوذهم لاستلام السلطة منهم ولكن كلا الطرفين عملا على طرد البرتغاليين والاسبان من البلاد . كان ابوعبدالله محمد القائم من الاشراف السعوديين يتمتع بقوة ونفوذ سياسي واسع وقد توفي سنة ٩٢٣ﻫ / ١٥١٨م وقبل وفاته قسم البلاد بين ولديه فعهد الى ابي العباس الاعرج بالطرف الشمالي . على الرغم من ان اشراف مراكش ازاحوا الستار عن وجوههم بشكل سافر الا انهم لم يعلنوا استلالهم بصراحة وذلك بسبب انشغالهم بالجهاد وتحرير البلاد من المسيحيين وبعد احتلال الاعرج لمراكش مباشرة ارسل الهدايا الى محمد المنصور واعلن تبعيته له لكنه رفض تقديم الضرائب . في سنة ١٥٣٦م استطاع محمد المهدي اخو (ابو العباس الاعرج) من استعادة موقع (سانتاجروز) من البرتغاليين وفي سنة ١٥٣٩م حاصر محمد المهدي اسفى ولكن المدينة قاومته بشدة فاضطر لفك الحصار والانسحاب لكن ملك البرتغال امر بنقل القوات البرتغالية الى مزغان نظرا لقلة واردات الشمال الافريقي وزيادة المصاريف اضافة الى انه لم يكن مؤيدا لاقامة مستعمرات في افريقيا .

د-حكومة ابو زيان في تلمسان :

عاد أبو حمو الثالث الى حكم تلمسان مرة اخرى بمساعدة الاسبان ولكنه كان ألعوبة بيدهم وقد استمر حاله على هذا الشكل طوال حياته،مات أبو حمو سنة ٩٣٥ه/١٥٢٨م وخلفه في الحكم

أخوه أبو محمد عبدالله والملقب(عبدالله السرحاني السعودي)الذي اغتصب الحكم من ابن أبو حمو الثالث مسعود فهرب مسعود والتجأ فاس .خاف عبدالله من القوة التي أحضرها مسعود ففر هاربا الى اسبانيا وجلس مسعود على عرش بني زيان في تلمسان وبعد ان حقق مسعود مقصده غير فكرته وموقفه تجاه الاتراك وكان يعلم أن عمه عبدالله في هران ولكي يضمن بقاءه في الحكم أعلن تبعيته للاسبان وقدم لهم الضريبة فقبله الاسبان وأبقوه في الحكم ،قرر الريس خير الدين غزو تلمسان ومعاقبة هذا الخائن وبينما هو على وشك الذهاب جاءه أحد مربطي مولاي عبدالله طالبا العفو والصفح لسيده وتوسل للريس خيرالدين أن يساعده لاستعادة عرشه من ابن اخيه مسعود،فكر الريس خير الدين بالعمل الذي سيقوم به،لم يتمكن الاتراك من دخول القلعة لانهم لم يزودوا بالمدافع،ولكن بشجاعتهم استطاعوا ذلك وقبل مغادرة الريس خير الدين لتلمسان ترك لديه/١٥٠/محافظا من الاتراك فمنهم عبدالله رواتب عالية ووافق على اعلان الخطبة وصك العملة باسم السلطان العثماني عاد الجيش الى الجزائر وبعد سنة ٩٣٦ه/١٥٢٩م بزمن قليل جمع مسعود قواته وتوجه الى تلمسان وحاصرها لمدة اشهر ومع وصول الامدادات من الجزائر غلب مسعود على امره ووقع اسيرا بيد الاتراك،فسجن حتى وفاته.

ذ- تونس : كان ابو عبدالله محمد الخامس المتوكل على الله من العائلة الحفصية حاكما على تونس منذ سنة٨٩٩هـ/١٤٩٣م وكان قد تقبل القراصنة ومنحهم مكانا في حلق الوادواجرى اتفاقا معهم وقد استمر في الحكم الى ان توفي سنة ٥٢٦م فخلفه ابنه ابو عبدالله الحسن واشتهر باسم (مولاي الحسن) وحالما تسلم الحكم قتل اخوته.

ر- بقية الجيران : ومن جملة المجاورين بخير الدين بك حكومة بني العباس الصغيرة او رئيس القبيلة عبد العزيز وكان عبدالعزيز صديقا وفيا لخير الدين بك وحالما يحدث بينهما خلافا سرعان ما يتفاهما ويزول الخلاف،ظل الاسبان الموجودون في وهران والمرسى الكبير شبه محاصرين بسبب التزام خير الدين وعبدالعزيز بالاتفاق الدائر بينهما ولهذا ظلوا عرضة لهجمات القراصنة بحرا والاهالي برا. قدم سكان وهران شكاوي عديدة بحق الحاكم

ماركي دي غومارس فكلف الملك موظفا بالذهاب الى وهران لاجراء تحقيقات حول الشكاوي المقدمة ضد حاكمها وعلى ضوء التقرير الذي قدم للملك استدعي ماركي الى فالادوليد

ز-الوقائع حتى 940ه/1533م :اثر انهيار قلعة بنون وهدمها وطرد الاسبان منها على يد الاتراك الابطال عم الغضب والهيجان مختلف المناطق الاسبانية فاندفع اهالي السواحل بشكل دائم ومستمر على المجلس العالي للدولة الاسبانية يشكون اوضاعهم وما يعانونه من رعب وخوف من هجمات القراصنة .

عين الملك اندريا دوريا قائدا لحملة الغزووبعد ان جهز الاسطول والجنود قرراندريا اتخاذ شرشال نقطة انزال لقواته وقد اختيرت سنة 1530م سنة الهجوم على الجزائر لان الملك الاسباني وقع صلحا مع فرنسا في هذه السنة واستمر اعداد الحملة مدة سنة وعلم الريس خير الدين بها فجمع 35سفينة في ميناء الجزائر واخبر الريس سنان الموجود في جربه وكلفه باخبار القباطنة بنية الاسبان،التحق الريس سنان بسفنه السبع مع عدد من الاتراك الابطال بالريس خير الدين وضاق صدر خير الدين من الانتظار وحينما علم بتحرك الحملة قرر ملاقاتها وكان يأمل ان يلاقيها في جزر البليار لكن اندريا دوريا وصل الى ميناء شرشال ومعه اربعين كادرغة وفي الحال انزل قواته الى البر بجوار المدينة .رست سفن خير الدين بك على بعد 30 ميلا من ميناء مرسيليا في احدى الجزر وبقي فيها عشرة ايام وفي هذه الاثناء وصلت سفينة من ميورقة محملة بالجبن فتصدى لها القراصنة الجزائريون واسروها وقد شوهدت الحالة من ميناء طولون أمام أعين قائد الميناء لذلك كلف اربع سفن فرنسية بمهاجمة القراصنة وفي طريقهم التقوا باحدى سفن الريس خير الدين تحمل على متنها ثلاثمائة مجدف مسيحي فانقضوا عليها وخطفوها ثم اخبروا قائد الاسطول والغضب باد عليهم بان اسطول الريس خير الدين يرسوا في الجزيرة المجاورة لمرسيليا ولكي لايفسد القائد عمله ادرك ضرورة العودة الى الوراء بدلا من التقدم والهجوم.وحقيقة الامر دافع طاقم السفينة بشجاعة وبسالة ولكنهم اضطروا مؤخرا الى قذف انفسهم بالماء فاسرع الجزائريون والتقطوهم واسروهم ونتيجة لما تحتويه السفينة من اسلحة ومعدات حربية دخلوها الجزائريون واخذوا ما فيها ثم احرقوا السفينة الثانية بعدما افرغوا ما فيها من

حمولة وعادوا الى الجزائر .تزوج الريس خير الدين في الجزائر من احدى بنات سادات الجزائر وانجبت له طفلا وحيدا سماه حسن بك وكان حسن بك يذهب مع الرياس منذ طفولته ويعود بالغنائم كأنه واحد منهم .

س- احتلال قلعة قورون :

تحرك السلطان سليمان الى النمسا من جديد سنة938ه/1532م وكان امبراطور النمسا فرديناند شقيقا لشارلكان فارسل فرديناند خبرا الى شارلكان يطلب منه المساعدة فكتب يقول له(ليس ضرب قلعة او قلعتين مهارة وانما ماتقدمه لي من مساعدات افضل بكثير من كل المهارات). هرع شارلكان من جنوة بغية ارسال مساعدات لاخيه فكلف اولا اندريا دوريا باحتلال قلعة قورون عن طريق البحر وفي هذه الاثناء كان الريس خير الدين على وشك التحرك اتجاه المياه الشرقية ارسل اسطولا مؤلفا من14 سفينة الى سواحل وهران لاشغال خير الدين لكي يتمكن اندريا من اتمام مهمته.تمرد حاكم تلمسان الامير عبدالله على الاتراك بعدما كان تابعا لهم وبما ان الريس خير الدين كان يستعد للسفر الى استانبول فقد اضطر الى تاجيل سفره ريثما ينتهي من تاديب المتمرد وتوجه بنفسه الى تاديبه واسفرت المحاربة عن انتصار الريس خير الدين على المتمردين ،تمكن اندريا من تحقيق مقصده واستولى على قلعة قورون واذا تحرك القبطان احمد باشا على رأس اسطوله والمؤلف من ثمانين سفينة فانه لن يلحق بالقبطان الاسباني اندريا دوريا .توجه الرياس الى السواحل الاسبانية وبالقرب من جزيرة قوبوقلوش عثروا على خمسة عشر سفينة بكامل طواقمهم واسروا اربع عشرة سفينة واغرقوا واحدة ، عاد الاسبان الى مضايقة المسلمين المقيمين في اسبانيا وخاصة بعد عودة شارلكان يائسا من مساعدة اخيه،وحالما وصل اسطول الابطال الجزائريون الى السواحل الاسبانية باشر الرياس بانزال جنوده الى البر،وقد اغتنم الرياس اثناء سفرهم واستفادوا من خبرات المهجرين الاندلسيين فطوروا سفنهم وكسبوا اصدقاء جدد كما نتج عن توفر المهارات العالية ووجود الصناع البارعين للمهجرين الاندلسيين الى زيادة ثروات مدن الشمال الافريقي فتطورت الصناعة وتحسنت اساليب الزراعة وغدت مدنه اكثر حيوية

ونشاط.

أ-بعد عودة السلطان سليمان من حرب النمسا منتصرا قرر محاربة شارلكان سياسيا فعقد صلحا مع فرديناند وقد ازعج الصلح شارلكان واشعره بضعف موقفه،ولكي تكون الاعمال البحرية اكثر نجاحا وفعالية يجب ان تعهد قيادة الاسطول الى الريس خيرالدين، لم يسر المسيحيون واتباعهم استلام خيرالدين لقيادة الاسطول العثماني لذلك حاول اندريا دوريا منعه من السفر الى استانبول وسعى الى تدبير حيلة فقد اشاع بان سفينة ستاتي الى الجزائر وعليها الاسرى الذين اسروا في قلعة قورون وتحمل ايضا امتعة بقيمة ستة آلاف ليرة ذهبية وسبعين شخصا من بينهم ملك اسبانيا .وكان الامر الذي تسلمه خير الدين يحثه القدوم الى استانبول بالسرعة القصوى ولكنه كان متخوفا من السفر وغير مطمئن على البلاد لانه سيترك 7000اسير في الجزائر .ان الاوربيين كانوا يعمدون الى قطع انوف واذان المسلمين الذين يقعون اسرى لديهم ويقتلونهم بعد تعرضهم لعذاب شديد الى حد لايمكن للعقل تصوره او اداركه .في الوقت الذي كان فيه خير الدين يسعى

للمحافظة على سلامة الاسرى وضمان ارواحهم كان الاسرى الذين تحت رحمته وبين يديه يحضرون الاذى والعذاب لانفسهم ارسل هؤلاء الاسرى رسالة الى قائد بجابة يخبرونه فيها بوجود 7000اسير في سجن الجزائر .تردد الريس خير الدين كثيرا قبل ان يصدر بحقهم احكاما فورية وتصور امام عينيه اطفالهم وعيالهم الذين ينتظرون قدومهم اليهم فقرر قبول الفدية التي ارسلت مع الرجل القادم من جنوة .ترك الريس خير الدين ادارة البلاد لخادمه وولده اغا وتحرك الى استانبول .علم الريس خير الدين بتتوجه اندريا دوريا الى قورون بست وعشرين سفينة فتابع خير الدين طريقه الى بافازا ولدى سماع سكان برنديزي باقترابه من مدينتهم اغلقوا ابوابهم .كلف الريس خير الدين 25سفينة بملاحقة اندريا دوريا .التقى الريس خير الدين مع الاسطول العثماني بقيادة القبطان احمد باشا في نافارين .رست القوات البحرية الجزائرية امام غلطة في منتصف سنة 940هـ/1534موفي اليوم الثاني انزلهم احمد باشا ضيوفا عليه في منازله الكائنة بميدان الخيل وكان الريس خير الدين في المقدمة .منح السلطان سليمان الصدارة لخير الدين برا وبحرا فطلب الريس خير الدين من

السلطان السماح له بزيارة حلب لمقابلة الصدر الاعظم فاجابه السلطان قائلا : تستطيع الذهاب الى أي مكان ومتى رغبت . توجه الريس خير الدين الى حلب برا حالما وصل خير الدين الى حلب استقبله الصدر الاعظم ابراهيم باشا استقبالا حسنا وابقاه في حلب يومين ومن ثم عاد الى استانبول وفي طريق عودته مر على على بورصة وقونية وقضى في كل مدينة يوما واحدا .وبعد ان صنع خير الدين باشا 61قادرغة وكان لديه 18سفينة وقدمت له خمس سفن هدية فجمعها لبعضها البعض وشق البحر باسطول مؤلف من 84سفينة .

ب-الاتراك المرابطون القادريون :

كان السلطان سليمان مثل والده يطمح الى اتباع سياسة تراس العالم الاسلامي وكان باووزالسالطان سليم يحترم العلماء كثيرا كذلك فقد شجع الطرق الصوفية وانتسب الى الطريقة القادرية فغدا محبوبا من جميع القادرين في العالم الاسلامي وباانتسابه حصلت القادرية على نفوذ كبير وخاصة في عهد السلطان سليمان الذي كان قادريا هو الاخر .مع مطلع القرن السادس عشر احتل المسيحيون بعض المناطق الاسلامية فتصدى لهم العلماء . وتمثل بظهور على الساحة وهم يقسمون الى قسمين القسم الاول : كانت تشكيلاته غير منظمة وغير مترابطة وفردية وكان غالبيتهم من السكان المحليين ولكن لاحد يعلم كيف جاؤوا وولا من اين ؟ويذكر انهم جاؤوا من (الساقية الحمراء) .

اما القسم الثاني : كانوا من اصحاب الطريقة القادرية وكانت اسس طريقتهم شبيهة بالطريقة الشاذلية والمعلومات الموجودة بين ايدينا تؤكد ان الاتراك انتسبوا الى الطرق الصوفية وان الطريقة القادرية دخلت الى افريقيا قبل دخول الاتراك بزمن مبكر والطرقة القادرية تنسب الى العالم والفقيه عبدالقادر الكيلاني ز ان انتشار الطريقة القادرية في شمال افريقيا مكن (اولاد سيدي الشيخ) من تاسيس دولة ملكية في المغرب الاقصى من الناحيتين السياسية والدينية في حين اسس في الجنوب الغربي مايسمى بالقبة (الابدية) والتقوا حولها .اما في تلمسان فحكامها كانوا بعكس بني مرين الذين اتبعوا الطريقة الشاذلية قسما من اسبانيا والريف ومراكش وسوسة ولكنها لم تنتشر في المغرب الا بشكل محدود . وحينما

استقر الاتراك في الجزائر كان رئيس الطريقة القادرية احمد بن يوسف وخلال زمن قصير تمكنوا من ايجاد ضمان وسند سياسي وكان كبار الموظفين من بني وطاس اكبر فروع بين مرين منتسبين الى الطريقة القادرية وبناء على ذلك فقد تعاملوا مع الاتراك وتخاصموا مع السعديين . ازداد نفوذ القادرية من خلال زواياها الكثيرة وحصلوا على احترام الجميع وخاصة في المناطق الخاضعة للسيطرة الاسبانية بسبب فقدان الحكومات القائمة وفقدان المفسدين للدعم .اما الريس خير الديت فقد ارتبط مع المرابطين والعلماء بعلاقات طيبة وقربهم اليه الى درجة غدوا كمستشارين له فيما يتعلق بالاوضاع الداخلية للبلاد وحتى الانكشاريون احبوا العلماء والمرابطين ولقبوا باسم مرابط . استغل الاتراك الافكار السياسية والدينية السائدة في شمال افريقيا في تثبيت اقدامهم هناك وانتهى الامر الى ان غدا قاعدة لامبراطوريتهم اضافة الى ما كانت تعاني مناطقه من ضعف وانحطاط .كان خير الدين الشهير ببرباروس الامر الناهي على تلك البحار ولكي يتمكن من توجيه ضربة قاتلة ضد شارلكان فان الامر يتطلب استتاب الامن والاستقرار في المناطق التي يشرف عليها . ادرك الاتراك ان مهمة طرد الاسبان من مناطق شمال افريقية وقفا عليهم بعدما لمسوا تلاعب الاسر الحاكمة هناك يساندهم في ذلك قلة من الاهالي .وبعد ان اتم خير الدين باشا اعداد الاسطول بشكل جيد زوده السلطان سليمان ب 8000جندي انكشاري 8000قطعة ذهبية ثم اذن له بالتحرك باتجاه الشمال الافريقي لاحتلال تونس وطرد الاسبان منها بصورة نهائية .

ج-احتلال خير الدين لتونس :

في اوائل صيف سنة 946هـ / 1534م عندما كان السلطان سليمان القانوني يعبر الاناضول متجها لغزو ايران كان خير الدين باشا يخرج من (جنة قلعة) ناشرا اشرعة سفنه باتجاه السواحل الايطالية ولدى انتقال الروم الى قورون ومودون هاجم خير الدين باشا ريجه وضبط في مينائها ست سفن فاسرهم وهدم القلعة الموجودة فيها ولدى سماع الاهالي بقدومه خافوا وتركوا المدينة بعد اخلائها . واثناء نزول القراصنة الى البر كان يلف المنطقة هدوء وسكون لامثيل له فارتدت جوليا ثوب نومها الشفاف الفاتن وكان احد الفرسان مفتونا بجمالها وبحجة انقاذها من قبضة خير الدين وقراصنته خطفها وفعلا تمكن

من انقاذها من ايدي رجال خير الدين باشا بصعوبة بالغة . كان حاكم تونس مولاي حسن من بني حفص ولم يكن مولاي حسن محبوبا من قبل الاهالي بسبب ظلمه وغدره وقد رغب الاهالي بالتلخص منه اسوة بقتله لاخوته ماعدا (الرشيد) الذي استطاع النجاة الى الجزائر .كان مولاي حسن يحب العشرة ومتعلقا بحبه للغلمان ويحب اصدقاء ةلده الوحيد ولهذا فقد جمع الشبان الذين بسنه وتكفل بهم بشريطة ان يظلوا بجانب ولده وبسبب ذلك فقد جمع في قصره اكثر من 400 غلام جميل فارسل الاهالي خبرا الى الرشيد يدعونه للقدوم اليهم ويعدونه بالمساعدة لاستلام الحكم بدلا من اخيه احتل خير الدين باشا حلق الواد وانزل قواته الى البرودخل تونس ب 5000 خيال وتكنت قواته من الاستيلاء على القلعة وفي 16اب /1534م هرب مولاي حسن اما انصاره الذين رغبوا بالمقاومة فالقى القبض عليهم ووضعوا في القلعة في حين قتل بعض الشيوخ ممن وضعوا ترتيبات المقاومة . عندما علم التونسيون بان رشيد لن ياتي وان بلادهم اصبحت تحكم باسم السلطان العثماني .وما ان فتح نيران مدافعه حتى ولى مولاي حسن مع قواته فقدم اليه المشايخ والاعيان طالبين منه ايقاف اطلاق النار واعلنوا فروض الطاعة والولاء له في حين التجا مولاي حسن الى الاسبان اسوة ببقية امراء افريقيا .كان العداء بادىء الامر مقتصرا على الجزائريين والاسبان والان اصبح بين السلطان سليمان القانوني وشارلكان ونتيجة للدراسات التي اجرها شارلكان تبين له بوضوح ان الخطر ليس ضده فقط وانما ضد البرتغال ايضا .قبل شارلكان عرض فرسان مالطة بشان تقديم المساعدة لهم ولملاي حسن فاستدعاه ووعدته باعادته لعرشه وملكه .ففي سنة 1531م اعلن محمد بن عبدالله حاكم تلمسان العصيان ضد والده عبدالله ووقف سكان تلمسان الى جانبه فارسل الكونت دالكودت مفرزة بقيادة (دون الونزومارتينز)مع قوة كافية من المشاة والفرسان والمدفعية الى تلمسان واثناء توجهها الى تلمسان اعترضت سبيلها قبيلة بني رشيد وقضت على مفرزة دون الونزومارتينز بالقرب من اسد .

د-هجوم شارلكان على تونس وفاجعة التونسيين :

ان الجيش والاسطول اللذان جهزهما شارلكان لمهاجمة تونس لم يعرف لهما مثيل منذ زمن

القديس لويس وقرر شارلكان قيادة الجيش بنفسه وعين اندريا دوريا والدوق دالب كمساعدين له في تلك الحملة وقد ضم جيشه عشرين الف من المشاة والفين من الخيالة وعددا كبيرا من المدافع بنقلهم اسطول مؤلف من مئتي سفينة .ضم الجيش عددا كبيرا من الالمان والايطاليين اضافة الى فرسان مالطة فنزلت اولا القوات الالمانية ثم تلتها القوات الاسبانية ومن بعدها الايطالية الى البر. يطل قسم من حلق الواد على البحر في حين تجاوره بحيرة من طرفه الثاني اما اطرافه الاخرى فيحيط بها خندق مائي وان خطوط دفاعه تقع في الوسط وقد كان بادىء الامر على شكل مضلع .باشر جيش شارلكان بالهجوم مع قصف مدفعي وعلى الرغم من القصف المستمر فقد ظل حلق الواد صامدا خلال شهر كامل .عقب انسحاب الاتراك رفع فرسان القديس يوحنا المالطيون وعلى راسهم فرسان كوسيئه علم الامبراطور على برج القلعة .في 29من حزيران تقدم سلطان تونس مولاي حسن مع عدد كبير من انصاره الى شارلكان منحنيا امام قدميه ومعلنا فروض الطاعة والولاء فقبله الامبراطور واحسن اليه وكانت قوات مولاي حسن مسلحة بالاقواس والنبال والخناجر والرماح الطويلة .وعلم ان التونسييون تركوا المدينة وفروا هاربين وفي اليوم نفسه كانت قوات العدو مضطرة للانسحاب من ارض المعركة بسبب قلة الماء وازدياد حرارة الجو . وفي الوقت الذي خرج خير الدين الى القلعة كان قد عهد سابقا الى وكيله المهتدي فرنك جعفر بامر المحافظة على المدينة ووضع بعهدته 7000اسير اوربي . ذهب برباروس من ماهون الى ميورقة فضرب سواحلها ثم عاد الى الجزائر ومعه 6000اسير وحينما عاد شارلكان الى بلاده ادعى بانه قتل برباروس وانه فتح جميع السواحل البربرية وما ان سمع باحداث جزيرتي منورقة وميورقة حتى ذهل وبدا عليه الغضب والانوعاج فامر اندريادوريا بالبحث عن برباروس والقاء القبض عليه. عندما اقترب خير الدين باشا من جزيرة جربه شاهد سفن اندريا دوريا في الافق البعيد وكان يرغب بمواجهته لكنه اجل توجيه الضربة القاصمة الى وقت اخر وتابع مسيرة الى استانبول .

الفصل الثاني

عهد البكلربي (امير الامراء)

قام بلقين بن زيري في منتصف القرن العاشر ببناء مدينة الجزائر عندما كان واليا على مدية ومليانة من قبل الفاطميين وقد بنيت مدينة الجزائر فوق انقاض مدينة قديمة كانت تعرف باسم اقسيوم ونتيجة للخراب والدمار الذي حدث في عهد الوندال غدت المدينة مهجورة اكثر من 25 سنة اما اسم مدينة الجزائر فهو ماخوذ من الجزر الصخرية الصغيرة المواجهة لها او من جزائر بنب مزغان او من اسمائها القديمة (سزارا) وعلى مايبدوا فان الروايات نقلت هذا اللفظ الينا خطا ز وكان لسور مدينة الجزائر 6 ابواب وكلف الاتراك من 3-4 حراس على كل باب علاوة على حراس السور الاصلي كذلك فقد اقيمت عادة استحكامات للدفاع عن المدينة ومن اهم هذه الاستحكامات الدفعية :

-1استحكام الامبراطور ويسمى ايضا اما قلعة السلطان اوموقع كدية الصابون هو يقع فوق التل المشرف على المدينة . 2-البرج الجديد : وهوسباعي الشكل يبلغ محيطه الاصلي 40 مترا 3-القلعة الداخلية :ويطلق عليها اسم (قصبة)كذلك فقد سميت القصر وهي مبنية فوق تل يتحكم بالمدينة والسور الاصلي. 4-استحكام باب الواد او الباب الغربي وقد انشىء سنة 1596 م فوق راس صخرة مطلة على البحر . 5-استحكام حاجز الامواج او (الميناء المصطنع)وهو برج خماسي الاضلاع وقد انشىء فوق الجيرة الصخرية . 6-استحام راس مكسر الامواج او (راس الميناء المصطنع) وفيه 5 مدافع ومجموعة من العساكر . 7-الميناء الداخلي وهو مبني فوق جدار مكسر الامواج وهوميناء صغير لكنه محصن بشكل قوي ومتين . ان الجزائريين الذين تصدوا لتوجيهات الاتراك اخذوا يتفاخرون عليهم في اسلامهم لكن اصداء انتصاراتهم عمت مختلف ارجاء الدنيا ولهذا فقد لجا بعض المؤرخين الاوربيين الى تجاهل تلك الانتصارات وخاصة المؤرخين الاسبانيين الذين نظروا الى انتصارات الجزائريين على انها وصمة عار في تاريخهم في حين تغنى شعراء الاسلام بها وقال مؤلف زهرة النيرة (ان تراب الجزائر ممزوج بدم الكفار وخاطب ابطال الجزائؤ

قائلا:الشان لك والشرف لك) في حين قال هايدوا (الجزائر افة الدنيا مضجع القراصنة عجبا الى متى سيظل ملوك اوربا يتحملون سفاهة وذل القراصنة .

ب-التشكيلات العسكرية:

على الرغم من ان التشكيلات العسكرية لاوجاقات الجزائر وتونس وطرابلس الغرب تتشابه مع التشكيلات العثماينة الا اننا سنتعرض الى هذه التشكيلات بشكل مختصر : يعتبر السلطان العثماني القائد الجيش العام للجيش العثماني والصدر الاعظم نائبه. فالجيش العثماني يتالف من :

-1عبيد الباب 2-عسكر الايالة 3-القوات البحرية

القابي قول المشاة يتالفون من سبع اوجاقات :

-1الانكشارية 2-الغلمان الاعاجم 3-الجعبجيلر

4-الطوبجية 5-قومبرجي 6-طوب عربجي

7-السقالر

عساكر الابالة : تتالف من :المشاة المحليين حرس الحدود حرس الارض وهم بغالبيتهم من الخيالة اما المشاة المحليون وقادتهم بكوات الصناجق وهم يعينون وضباطهم من قبل باشا الابالة وعساكر المشاة تتالف من 5 اقسام وهم : العزب – السكبان – اللغمجية –المرتزقة – الفصائل المسلمة وهي تقسم الى عدة اورطات .

-3 عساكر البحرية :

وهم الجنود العاملون في الترسانات ويسمون اوجاق الترسانة ويتالفون من عدة اوجاق واساسهم مؤلف من :صانعي السفن صنف الحرب (المحاربون في السفن)وهذان الصنفان يعملان تحت امراة القبطان باشا

وتقسم الخدمة لدى افراد الانكشارية الى ثلاثة اقسام :

-1الجنود الاغرار وهم يكلفون رسميا بالتعليم والتدريب ضمن مواقعهم العسكرية .

2-الافراد المتدربون وهم قسمان : القسم الفعال والقسم المقاتل .

3-الافـراد الـقـدامـى والـمـتـقـاعـدون :ويـسـتـخـدمـون فـي الـخـدمـات الـثـابـتـة .
لقد تطورت القوة التي انشاها خير الدين باشا تطورا كبيرا بحيث غدت الانكشارية تخافها وتحسب لها حسابا وبما ان خير الدين باشا وثق بها لذلك لم يتدخل بشؤونها وهي لم ترهقه لا بطلباتها ولا بمشاكلها الداخلية ولم تتجاوز حدود الممنوحه ج-ادارة البلاد :
كانت ادارة البلاد العليا بيد امير الامراء يعاونه خمسة اعضاء يكونون للمجلس الاستشاري للايالة وهؤلاء الاعضاء هم : الخزنجي - وكيل خراج القصر -حجة الخيل - اغا العرب وهؤلاء يسمون الهيئة الحكومية . انا عقوبة الفلق والجلد فتتم في المجلس من قبل اسيرين حيث تقيد الرجل المحكوم وينزع حذاؤه ويضرب عليهما بعد رفعهما الى الاعلى اما الغرامة المالية فتدفع مباشرة في المجلس اما الانكشاريون الذين يحكم عليهم بالاعدام فان العقوبة تنفذ داخل السور . د-الامور القضائية في الدولة :
وجد في الجزائر محكمتان ومفتيان مفتي المذهب الحنفي ومفتي المذهب المالكي والاحكام تصدر حسب الشريعة الاسلامية ومن لايقبل بحكم المفتي فبامكانه مراجعة المجلس الكبير ويضم المجلس الكبير علماء المذاهب الحنفي والمالكي . التقسيمات الادارية :
قسمت الجزائر بشكل عام الى عدة صناجق من اهمها :صنجق المركز صنجق الغرب صنجق الشرقمت صنجق الجنوب كذلك قسمت الى مناطق لها قيادات مستقلة وقسم الى قيادات .كان مركز الصنجق الجنوبي في مدية والمسمى بامارة تيطري اما الصنجق المركزي فيضم مدينة الجزائر وقيجة مع بعض المرافىء المجاورة . ه-
الـــــــــــــواردات والـــــــــــــــصـــــــــــــــــرفـــــــــــــــــــيــــــــــــــــــات :
كان الرسم الجمركي على الورادات والصادرات في ولاية الجزائر محدد بنسبة 11%كما طبق على الجلد والعسل والغنائم التي يكسبها القراصنة وكانت تتراوح مابين 5-8%كما فرضت الرسوم على الاموال المتروكة بدون وريث وكذلك على الميناء وعلى اماكن الترف وبيوت الدعارة وهناك رسوم الوراثة والطوابع والغرامات المالية وهذه الرسوم لم تخضع لنظام ثابت محدد بل كانت تختلف من مرحلة الى مرحلة وقد قدرت الواردات بشكل

جيد عام حوالي 500الف دوقة من الذهب اما الواردات الزائدة عن احتياج الامراء والقادة في مناطقهم فكانت ترسل الى المركز . ف-ادارة مدينة الجزائر:

يطلق على رئيس ادارة مدينة الجزائر لقب شيخ البلد وهوالمسؤول عن ادارتها وتخصص له ادارة خاصة به يساعده مجلس مكون من اشراف واعيان الجزائر .سكان البلد مكونون من خمسة اقسام : 1-الاتراك 2-القولوغلية 3-البربروالعرب المحليون 4-مهاجرو الاندلس 5-الاجانب واليهود وهذه الوظائف على راسها ثلاثة موظفين كبار : قائد اليون قائد الزميل قائد الوصان اما الحارس في خارج المدينة فيقال له الفاحص وهو مكلف بضبط الامن والمحافظة على سلامة الناس وامنهم ورئيسهم قائد الفحص وبما ان وظيفة قائد الفحص وموظفيهم لايعتبران من الوظائف الشريفة بنظر الاتراك لهذا تخلوعنها الاهالي. غ-مـــــديـــــنـــــة الـــــجـــــزائـــــر وســـــكـــــانـــــهـــــا :

كانت شوارع المدينة الجزائر ضيقة ومنازلها متلاصقة بعضها مع البعض ولهذا فان اسطحة المنازل متصلة بعضها مع البعض ونظرا لوقوعها ضمن سور واراضيها معرضة لحوادث السلب والنهب من الاجانب الطامعين بها علاوة عن الهجمات التي تتعرض لها المدينة من القبائل القاطنة بالقرب منها ولم يكن داخل المدينة مقاه او خمارات . ه-تجارة الـــمـــديـــنـــة -صـــنـــاعـــتـــهـــا-الـــيـــهـــود :

كانت التجارة الخارجية لمدينة الجزائر محدودة وقليلة جدا وقد اقتصرت تجارتها على نشاط المهاجرين و الاندلسيين واليهود وقلة قليلة من المسلمين وقد وجد في الجزائر حوالي /2000/يهودي وتركزت تجارتهم على الغنائم التي كان القراصنة يحضرونها من غزواتهم البحرية .ان عظمة فرسان العرب وتعصبهم القوى ضد الجوالين عندما كانوا يمشون امام المحليين تظهر تضادا وتضاربا واضحا ولم يكن باستطاعته الجزائري المحلي الرد على ذلك باي شكل من الاشكال لذلك لم يكن لهم أي دور مهم وبارز في تاريخ الجزائر .

ك-امـــــرة الامـــــراء (الـــــبـــــكـــــلـــــربـــــكـــــي) :

كان امير الامراء يسكن في قصر السلطان وقد سميت بدار السلطان وعندما كان خير الدين بربروس في استانبول شغل منصبي امير امراء الجزائر وقبطان باشا فكلف وكيله في الجزائر بادارة الامور بشكل عام وكان امير امراء الجزائر يختلف عن غيره من بقية الامراء في الولايات الاخرى حيث تتمتع بصلاحيات واسعة وامتيازات خاصة به فقط . ل-

الحروب البحرية :

كانت القرصنة تشكل اساس الاورجاق الغربي وكانت غزواتهم تعتبر نوعا من انواع الجهاد وباتحاد رياس البربر مه الرياس الاتراك غدت البحرية العثمانية قوة ضاربة بحسب حسابها ففي بادىء الامر وجه الرياس اهتمامهم بالدرجة الاولى لانقاذ المسلمين من ظلم الاسبان والقضاء على التجارة الاسبانية في البحر . م-العلاقات

الخارجية :

ظلت العلاقات الجزائرية الفرنسية طوال فترة حكم امرة الامراء جيدة حيث عمل الريس سنان والريس طرغوت مع القباطنة القدماء الفرنسيين امثال ستروز لاغادره وساينت بلا نجارد سوية في البحر كذلك فقد لجا الرياس في بعض الاحيان الى ميناء بروفانس واخذوا الارزاق منه كما توجهوا عدة مرات الى مرسيليا وحصلوا من هناك عن معلومات بحق الاعداء زكان هنري الثاني وشارل التاسع يقدمان المعلومات للقراصنة الجزائريين عن تحركات الاسبان . امرة الامراء:

توجه خير الدين بربروس الى استانبول بعد ان عين خادمه الامين حسن اغا وكيلا له على الجزائر وكان حسن اغا قد اسر في احدى غزوات القراصنة الجزائريين من سواحل سردينيا ولدى توزيع الغنائم كان الطفل من نصيب خير الدين . وفي الطرف الاخر حاول والي وهران الكونت دالكودت خداع حسن باشا من خلال منحه بعض الوعود وبنفس الوقت اظهر حسن اغا بعض التراخي من خلال الرسائل التي تمت بينهما وعلى الرغم من فشل المحاولة وتمكن حسن اغا من خداع الكونت دالكودت فان العلاقات فيما بينهما استمرت على ماهي عليه سابقا .اما القوات الايطالية المتركزة في الفرون فقد تعرضت لهجوم غير منظم من الاهالي

وتمكنوا من تشتيتهم ونشروا الرعب في صفوفهم واعلنوا السيف فيهم قتلا وفتكا بعد ان لاحظوا الياس والقنوط الذي يواجهه الاعداء ولولا صمود فرسان مالطه لفني الجيش الايطالي فناء تاما . كان الجميع يقدورون شجاعة فرسان مالطة ويحسبون لها حسابا لكن نصف قواتهم قد فنيت وقضي عليها اضافة الى انهم لم يتمكنوا من استخدام سوى البنادق ونتيجة لغزارة المطر المتساقط عليهم تبللت حشوة بنادقهم وتوقفت عن الانفجار فاستغل الجزائريون ذلك وانهالوا عليهم بسيوفهم ونبالهم فتكا وقتلا الى ان قضوا على من بقي امامهم من فرسان مالطة . قرر المجلس الحربي بعد صعود جميع العساكر الى السفن التحرك بشكل جماعي لكن البحر عاد الى الهيجان ثانية مع مساء ذلك اليوم بعد ان كان هادئا قليلا خلال النهار ازاء ذلك اضطر المجلس الحربي الى اصدار قرار يخول قيادة السفن حرية التحرك كيفيا لكل سفينة انتهت من التحميل وكلفت القاليوطات بحسب سفن النقل الاضافية لكن العاصفة اشتدت عما كانت عليه وهاج البحر كثيرا وخاصة عندما كانت السفن تدور حول راس ماتيفو فاصطدمت بالصخور فغرق قسم منها بينما سقط من فيها اسرى بيد الاهالي .وقبيل عودة الكونت بعدة ايام كان الجواسيس يقومون بنقل الاخبار السيئة للاسبان واعلموهم بان اعداءهم منتشرون في كل مكان وانهم مسيطرون على معظم المناطق واخبروا الكونت ان مولاي احمد يمتلك جيشا ضخما وانه سيقطع الطريق عليه ازاء ذلك عمل الكونت على اعداد جيش ضخم واخذ الحراس الموجودين في القلعة وكان عددهم حوالي 1200حارس وخرج بجميع قواته من تلمسان واصطحب جميع الغنائم التي سلبها من المناطق اضافة الى عدد كبير من الاسرى والمدافع التي كان مارتيز قد خسرها سنة 1535م . لم تستطع القوة الصغيرة المتجهة اليه من ايقافه والتغلب عليه في حين هاجم حجي بشير العصاة في منطقة صوماطة بقوة قدرها 500خيال و 400جندي مسلح بالبنادق والحق بهم هزيمة نكراء .

قدم حسن باشا الى الجزائر في 20حزيران سنة 951هـ/1544م وبرفقته 12غاليوطة مع عدد من الجنود المشاه وتمكن من استلام منصبه بكل سهولة واول عمل قام به الباشا في الجزائر تنظيم الجيش وتطبيق الانضباط فيه وبعد ذلك قضي على تمرد القبائل القاطنة في جنوب

مليانة والمناطق الغربية من مدينة الجزائر .في سنة 943هـ /1539م كان بنو مرين والاشراف السعديون يتقاسمون حكم المغرب وكان مولاي احمد رئيس رئيس حكومة بني في فاس ومولاي محمد المهدي من الاشراف السعديين في مراكش وكان اخوه الاعرج الذي اتخذ (تافيلات) مقرا له تابعا لاخيه في قسم بينما كان شبه مستقل في القسم الاخر وقد ظل محمد المهدي لفترة طويلة ساكنا هادئا يحاول الحصول على الاستقلال في ملكه وتجنب خلال تلك الفترة الاعتداء على أي طرف من الاطراف لكنه كان يطمع لتوسيع املاكه فكلف ابنه عبدالقادر بقيادة الجيش

من اجل احتلال قشتاله الكائنة في سفوح جبال الاطلس على الطريقالواصل مابين فاس ومراكش فجهز مولاي احمد جيشه واتجه لملاقاته والتقى الطرفان بالقرب من قشتاله .جاء ولده الكبير الحران من تارودانت الى مراكش واتحد مع اخيه عبد القادر وقررا التوجه الى فاس لاحتلالها مستغلين الخلاف القائم بين حاكم فاس الناصر وقادته فهاجم جيش الشريف القصرالكبير وسلمت العرائش له وبعدها عمد جيشه الى نهب وتهديم جميع مناطق فاس . في سنة 956هـ/1549م دخل الشريف محمد المهدي فاس وبعد سقوط فاس بيد الاشراف غدا افراد العائلة من بني مرين محصورين في سوسة ودرعة وتافيلات كما ان كبار التلمسانيين كانوا منذ زمن بعيد يعيشون في فاس كذلك فقد كانت العائلات الكبيرة من اهالي تلمسان اقارب لهم في فاس وفي تلمسان ولهذا فقد شغل التلمسانييون مناصب كبيرة في فاس وبغية التقرب من الشريف فقد كثروا انصاره ومؤيدوه في تلمسان والمناطق المجاورة لها واخذوا يتوددون اليه ويتقربون منه .ولدى هزيمة الجيش الفاسي تحرك من تلمسان شخصا يدعى سفاح او صفا وغدت بذلك تلمسان خاضعة بشكل تام للاتراك وانتهت بذلك العائلة الزيانية سنة 958هـ/1552م اما الاهالي العائدون الى تلمسان فقد اخذوا يدعون بان الاموال والاملاك عائده لهم في حين صودرت املاك من غادر تلمسان الى فاس .واوضح للديوان الهمايوني بان حسن باشا اذا بقي في امارة الجزائر فانه سيشكل خطرا كبيرا على الدولة العثمانية وانه يسعى لتثبيت وجوده هناك لانه يعتبر نفسه جزائريا اضافة الى تهم اخرى فاستدعاه الديوان

الهمايوني بناء على التهم التي وجهها السفير الفرنسي وبقي في استانبول 8اشهر معزولا من امرة امراء الجزائر وكلف بك تلمسان القائد صف بادارة الجزائر بصفة مؤقتة .
يعود اصل صالح باشا الى القازدغلية مارس منذ شبابه التجول في البحار الى جانب ال بربروس وكان من خيرة اصدقائهم الاوفياء ولهذا فقد كان الريس عروج ومن بعده خير الدين يعهد اليه قيادة العمليات البحرية المهمة وفي احدى الغزوات اسر وبعد ذلك تم انقاذه .جهز صالح باشا جيشا مؤلفا من 3000جندي مسلح بالبنادق و1000خيال و8000شخص من البربر وعهد الى عبدالعزيز بقيادة الجيش تحرك عبدالعزيز بقواته الى تقرت واستولى عليها بعد الحصار استمر 4 ايام كما استولى على ورقلة دون مقاومة واوقع باهالي المدينتين عقوبة صارمة .اعلن بوحسونة نفسه حاكما على فاس بعد وفاة اخيه الاكبر محمد البرتغالي سنة 931هـ/1524م ولكن ابن اخيه احمد رفض الاعتراف به وجهز العساكر واتجه الى فاس لمحاربة عمه ولكن المدينة لم تقاومه فالقى القبض على عمه وسجنه وبعد مدة اطلق سبيلة وسمح له بالعيش في باديس ولكونه عاش فيا فقد لقب بالباديسلي وعندما كان الخطر يهدد فاس من قبل محمد المهدي استدعاه الفاسيون للاستفادة من سياسته وخبرته العسكرية لكن ابن اخيه لم يلتزم بنصائحه . كان قسم من اعضاء المجلس يرون حرق وهدم المناطق التي سيعبر منها الجيش التركي بغية تعرضه للعطش والجوع والتعب او القسم الاخر فقد طالب الشريف باتخاذ موقف صارم تجاه الاهالي الذين يحبون بوحسونة وفي حال عدم اتخاذه موقف متشدد فانهم سيعلنون العصيان فتقع البلاد انذاك بين نارين .ارسل صالح باشا الغنائم التي حصل عليها الى مصاصة بينما هو بقي هناك حتى اوائل شهر ايار سنة 1554م واثناء عودته احتل حجر باريس ونظم ادارتها تنظيما جيدا وامر بزيادة التحصينات والاستحكامات بشكل يمكنها من المقاومة والتصدي لدى حدوث أي هجوم مفاجيء عليها من قبل الاعداء . اتفق بوحسونة مع الاعرج اخو الشريف على اقتسام المغرب الاقصى فيما بينهما وقد قصد بوحسونة من اتفاقه قطع الطريق على الشريف والقضاء على امله بالعودة كما عمل على كسب ود الجميع وقرب علية القوم واعيان البلاد اليهلكن الاعرج تمرد عليه بعد مدة من الزمن واحتل تافيللت ومن ثم تابع طريقه الى فاس

وكان المهدي قد اعد جيشا كبيرا وقسمه الى قسمين .واثناء توجه الجيش الى وهران التحق به الكثير من المحاربين وفور وصوله الى وهران قام بمحاصرتها ثم باشر بفتح الخنادق حول المدينة ونصبت بطاريتان للمدافع الاولى امام باب تلمسان والثانية على الجبل الواقع غرب المدينة ثم بدا الهجوم . ولدى عودة القوات الى استانبول اصبحت قوات الجزائر غير قادرة على متابعة الحصار لذلك اجبرت على رفع الحصار والعودة الى الجزائر واثناء العودة بدات القوات بملاحقتها حتى مزغان وتمكنت من الاستيلاء على بعض المدافع والمعدات الثقيلة .

عقب وفاة صالح عين محمد باشا امير امراء الجزائر وحالما وصل خبر تعيينه الى الجزائر حدث هيجان شديد لان الانكشارية غاضبة من انسحاب الاسطول العثماني اثناء محاصرة وهران ومااصابهم من متاعب بسبب عودتهم الفجائية اثر انسحاب الاسطول العثماني . وبما ان الباشا الجديد اكثر من احكام الاعدام فقد عم الخوف وسادت لدى الجميع فكرة الانتقام فقائد تلمسان سابقا والمسمى يوسف كان صديقا وفيا لحسن قورصو وقد اقسم يمينا بالانتقام له وتنفيذا لايمانه اخذ بالتحضير والاستعداد لذلك .

امـــــــارة حـــــــــــــن بــــــــاشــــــا الـــــــــثـــــــانـــــــيـــــــة :

جرت الاحداث بعكس ماكان متوقعا ازاء ذلك لم يكن لدى الديوان الهمايوني شغل سوى فرض عقوبة بحق الانكشارين المتمردين لان مقتل محمد باشا ايقظ لديه تساؤلات كثيرة وترك اثرا سيئا عنهم لدى استانبول لهذا امر بمعاقبة العصاة وكان الشخص المناسب انذاك لارساله الى الجزائر هو ابن خير الدين باشا باعتباره الوارث الوحيد لابيه وامه واكثر قدرة على مخاطبة اهالي الجزائر كما انه صديق لجميع الرياس هناك .اعلن حفيد بوغاني نفسه سلطانا على تلمسان لكنه فشل في السيطرة على قلعة المشور وعندما قدم حسن باشا الى امارة الجزائر ادرك الحوادث الجارية هناك فعمل اولا على انقاذ الانكشاريين المحاصرين في تلمسان فتحرك على رأس قوة مؤلفة من ستة آلاف انكشاري وسبعة عشر الف جندي محلي وبنفس الوقت كان يفكر بحيلة لخدع عدد الاتراك الرئيسي الشريف محمد المهدي فارسل

قوةصغيرة الى مراكش بقيادة الكخا(الكاهية) صالح،وكلفه بقتل الشريف بعدما افهمه ومن معه بان ذهابهم الى الشريف كان بسبب الظلم والارهاب الذي يمارسه حسن باشا.ارسل ر اس الشريف الى استانبول حيث علق على احد اسوارها وظل معلقا حتى تعفن،أما الكخيا صالح فقد قطع المسافة مابين اغادير وتلمسان وتقدر بحوالي/2600/كم تدل على الرجولة والمفخرة ومدعاة للفخر والاقدام لمسن مثله .كان من اشجع اولاد الشريف محمد المهدي عبدالمؤمن فاكن يعمل على استغلال جميع الفرص بكل مايملكه من همة وعزيمة ونشاطه هذا ايقظ لدى اخيه المتسلم لزمام السلطة الحذر والحيطة منه فناداه الى جانبه .قام عبدالله ابو الغالب يقتل اولاد عمه الاعرج وخنق اولاد عمه ابو سعيد عثمان الثلاثة فخاف عبد المؤمن من جبروت وظلم اخيه عبدالله ففر اخيه مع عبدالملك الى الجزائر .وفي التاسع من ايلول سنة 1559م وصل خبر القضاء على الجيش الاسباني الى سان جوست واخفى خبر الهزيمة عن شارلكان لانه كان على فراش الموت واسفرت هذه الهزيمه بالقضاء على افضل القادة والضباط الاسبان في شمال افريقية واقتنع الاسبان بضرورة البقاء في وهران والمحافظة عليها ومع ذلك غدا واليها يتلقى المضايقة من جميع الاطراف .علم حاكم فاس بالمواقف الحرجة التي يعانيها الاتراك فاستعد لمهاجمة الحدود الغربية للجزائر كماان ملك اسبانيا كان هو الاخر يجهز اسطولا بحريا لنفس الغرض ولدى موت الكونت دالكودت فترت العلاقة الاسبانية الفاسية لكن الملك فيليب الثاني قام باحيائها وتجديدها لقاء ذلك اضطر حسن الباشا الى اللجوء الى اتباع سياسة اللين والمهادنة تجاه المقراني واقام الصلح معه فقبل المقراني اعلان تبعيته للاتراك مع دفع ضريبة نسبية وقال حسن باشا لنفسه :ان خير الدين افضل مني فال بربارוס عندما كانوا حفنة صغيرة استطاعوا السيطرة على الجزائر وانه خطط لامارة في المهدية لكن الاسبان خطفوها منه .تحرك حسن باشا في 5 شباط 971هـ/1563م تاركا خليفته علي شتلي بادارة البلاد كما ترك لقائد تلمسان علي اسكندر رضا عدة طوابير عسكرية بالقرب من مقته وعهد اليهما تامين خط العودة له ومنع الاسبان من جمع الازاق وفي الثالث من نيسان وصل جيش حسن باشا الى جوار وهران واقام مقر قيادته في راس العين .بعد تعرض الاسطول الاسباني للعاصفة المدمرة تعذر على

الاسبان الخروج ومهاجمة خط المحاصرة المفروض عليهم ولم يكن امامهم سوى الاكتفاء بالدفاع عن الاسوار والتحصينات الموجودة بين ايديهم ولدى اول هجوم سقط برج القديسين واستولى حسن باشا على المرس الكبير ووضع اسطوله فيه فضمنه من التعرض للعاصفة الا انه كان يرغب بوضع اللوازم والمهمات ضمن المخازن الموجودة فيه .ازاء زيادة تحركات امير شنشاون محمد بن علي فر ليلا باتجاه الشرق وترك امير فاس امر تدمير تطوان للاسبان وفي سنة972ه-1565م ارسل فيليب الثاني ملك اسبانيا اسطولا بقيادة دون الواردي باظان الى تطوان وكلفه بهدمها نهائيا .

بعد غياب حسن باشا اصبح ميراثه من ابيه نهبا لاعدائه الفرنسيين وكان حسن باشا يدرك تماما ان الفرنسيين يقفون ضده اثناء توليه لامارة الجزائر ولهذا تجنب اجراء أي اتفاق معهم مع العلم ان الدولة العثمانية تعتبر فرنسا دولة صديقة ووفية لها ولهذا فقد اولتها اهمية كبرى وشددت في فرماناتها الموجهة الى اوجاق الغرب بضرورة التعامل بلطف مع الفرنسيين وحذرتهم من التعرض لسفنهم او السفن التي تحمل الشارة الفرنسية ايضا .

استغل جوان غاسكون الوقت الذي يقوم فيه القراصنة بسحب سفنهم الى داخل الميناء ومع بداية تشرين الاول تحرك من اسبانيا وبعد اربعة ايام وصل الى ميناء الجزائر فدخله ليلا ثم تسلل ومن معه الى سفن الجزائريين ووضع فيها مواد محرقة واتفق مع مرافقيه على موعد بدء اشعال النار بالسفن ثم قسم جنوده وامرهم بالانصراف كل الى المكان المخصص له.

عين محمد باشا على قسنطينة رمضان بن الاعسر(جولاق رمضان بك)وعاد الى الجزائر وبعد مدة صدر فرمان عزله ومن المحتمل ان يكون سبب عزله المظالم التي ارتكبها والشكاوي التي قدمها سكان قسنطينة .استمر محمد باشا في امارة الجزائر من كانون الثاني سنة 1567م وحتى آذار1568م .

في 20محرم سنة 976ه 1568 م صدر فرمان سلطاني بنقل قلج علي باشا من امارة طرابلس الغرب الى امارة الجزائر ويعتبر قلج علي باشا من خيرة الامراء الذين تولوا امرة الجزائر .ولد قلج علي في كالابريا قد اسر في احدى غزوات خير الدين باشا لجنوب ايطاليا

وكان اثناء ذلك لايزال صبيا ولدى اقتسام الغنائم كان من حصة الريس علي احمد ومنذ سنة 931-935هـ/1524م ظل يربى في داره وقد اعتنى به عناية خاصة الا ان زملاءه كانوا يسخروم منه فلقبوه (بالفرطاس)نتيجة لمرض اصابه .واثناء حرب جربة اظهر بيالي باشا بعض الترددوعلى الفولا قام قلج علي باشا بشن هجوم حقق من جرائه نصرا عظيما تكبد الاسبان خلاله خسائر فادحة وسيطر عليهم الرعب والخوف فدهش الجميع من شجاعة قلج علي باشا فكافاه السلطان العثماني على هذه الشجاعة والجراة وعينه امير امراء طرابلس الغرب اثر استشهاد الريس طرغوت وبقي فيها مدة سنتين ونقل بعدها الى امرة الجزائر .ضاق المسلمون الموجودون في اسبانيا من الظلم والارهاب الذي يمارسه الاسبان عليهم ولم يجدوا وسيلة سوى الاعداد لمواجهة ذلك الظلم بالقوة فعمدوا الى اعداد جيش بمنتهى السرية والدقة فاشتروا السلاح ونقلوه الى اسبانيا ووضعوه في اماكن سرية منتظرين الاشارة التي تعطى اليهم في يوم الاربعاء من الاسبوع المقدس وكان من جملة قادة الثورة محمد المنصور .كانت تونس خلال ذلك تعاني حالة مضطربة فالاهالي لايحبون مولاي حسن المعين عليهم من قبل شارلكان وقد ازدادت المعارضة ضده وكان على راس المعارضين ابنه حميدة كذلك فقد اعلن احد علماء القيروان استقلاله وانفصاله عن تونس .تجاهله الامبراوطور تجاهلا تاما وبدلا عن خزينته الضائعة قرر منحه راتبا شهريا وامر باعادته الى ايطاليا وكان الجميع يكرهون حميدة مثل ابيه لان وجود المسيحين كان يجرح كبرياء التونسيين فالضرائب الكثيرة والثقيلة المفروضة عليهم سحقتهم سحقا فاخذ الجميع يتطلعون الى الاتراك لانقاذهم من هذا الوضع الصعب .عاد قلج علي باشا الى الجزائر بعد عدة شهور من غزوته وقد تمكن خلالها من لحاق خسائر كبيرة بالاعداء فقد استولى على اربعة سفن مالطية وقتل القائد الكمندور دي صاينت كلمونه وكان يامل لدى عودته الى الجزائر وصول المساعدة التي طلبها من استانبول لكنه وجد فرمانا سلطانيا يامره بالابحار فورا بغية التصدي لاسطول دون جوان دوتريش فشق البحر مع ربيع سنة 979هـ / 1571م مصطحبا 30سفينةلرياس الجزائر مع السفن التابعة لها .كذلك فقد استولى على سفينة زعيم الطريقة المالطية واخذ علمها وقام بعد انفصاله عن الاعداء باطفاء بعض السفن

العائدة للاعداء وضمها الى السفن الجزائرية ومن ثم اتجه الى مودون .لاحظ قلج علي باشا ضرورة تقوية الجيش الجزائري لذلك طلب من السلطان العثماني تزويد الجزائر بالف متطوع اخر فامر السلطان بتامين المتطوعين وكلف برتف باشا بنقلهم على سفينتين والاتحاد مع الاسطول العثماني في ميناء قوطور بغية قضاء فصل الشتاء هناك والتصدي لاي خطر يواجه الجزائر سواء من الداخل او الخارج .بدا الملك الاسباني العمل بنصيحة البابا ولكن دون أي فائدة وكل ماحققه من نتائج قلج علي باشا وزيادة كرهه ونقمته عليه كذلك فقد طلب الديوان الهمايوني من السفير ماريغلاني شرح الرسائل الموجه الى قلج علي باشا من المسيودي نوئيلس ووجه الديوان تنبيها شديدا وحذره من الاستمرار بهذا العمل .

امارة احمد باشا

تسلم مولاي عبدالله الاول الغالب حكم فاس 964هـ/1557م فقام بقتل عائلة عمه وتمكن من القاء القبض على اولاد عمه ابي سعيد عثمان الثلاثة وقتلهم ازاء ذلك خاف اخوته منه ففر اخوه عبدالمؤمن وعبدالملك الى الجزائر سنة965هـ1558 تدخل العلماء والمصلحون لحل النزاع القائم بين الاخوة ز وعندما لمس عبدالله الغالب كره الاهالي له وابتعادهم عنه اضطرالى التقرب الى اصحاب الطرق الصوفيه واكرمهم اكثر من القضاة هذا التسامح الذي اظهره عبدالله الغالب ساعد اصحاب الطرق الصوفية على اقامة زوايا مستقلة بهم تركزت غالبيتها في المركز .لم يفقد جعفر الباشا الامل باستعادتهم امارته فكتب مذكرة الى استانبول عن لسان الاهالي يطالبون فيه ضمهم الى طرابلس لكونهم بعيدين عن تونس وفي 23جمادى الاول سنة 979هـطلب الديوان الهمايوني الى الوزير يرتف باشا التوجه الى تونس للاطلاع على رغبات الاهالي والتاكد من ذلك لكن التحقيق في ذلك لم يعط أي فائدة لان اعيان تونس واشرافها كتبوا مذكرة الى استانبول يشيدون فيها بطيب معاملة رمضان بك لهم وحسن ادارته وفي 2شوال 979هـ اخبر رمضان بك من قبل وكيل قبطان البحر قلج علي باشا بالحاق تونس بالجزائر وانه نصب ثانية قائم مقام تونس .اخبر ملك فرنسا شارل

التاسع احمد باشا بواسطة والي مرسيليا دي مميلون عن اطماع الاسبان ومخططاتهم وكذلك فان السفير الفرنسي فرانسوادي نوايل اخبر السلطان عن اسماء بعض شيوخ العرب المتفقين مع اسبانيا والبرتغال بقصد الحاق الضرر باتراك الجزائر .كان الاندلسيون الذين هجروا من اسبانيا قد قدموا الى الجزائر تاركين اموالهم واملاكهم وعملوا في الجزائر كعمال في الحقول

والمزارع وان مايكسبونه يؤخذ منهم كرسوم وضرائب فتردت اوضاعهم سوءا ونتيجة لذلك قدموا شكوى الى مقام السلطنة يعرضون حالتهم فامر السلطان لمنحهم وظائف الاوقاف مع اعطائهم مواردها واعفائهم من الرسوم والضرائب لمدة 3 سنوات .اثناء ترقب الاسطول العثماني لتحركات العدو تعرض لعاصفتين قويتين ادتا الى تشتيته واصيب بخسارة كبيرة ومع نهاية موسم الابحار عاد الاسطول الى استانبول .لم يقصر قلج علي باشا في اداء مهمته وواجبه ولو ان السلطان استمع الى توصيات قلج علي باشا بشان طرد الاسبان من جالطة لما تعرضوا لهذه الخسائر لان قلج علي باشا خطط لطردهم منها منذ ثلاث سنوات ولدى سماع الملك الاسباني باحياء عائلة بني حفص وتقويتها وباشر باقامة التحصينات اضافة الى جالطة كذلك فقد سيطر الاسبان على جزيرة سان جاك او جزيرة شكلى الواقعة في بحيرة تونس كذلك فقد اقام دون جوان بين المدينة والبحيرة حصا سمه باب البحر .ولدى سماع الملك الاسباني بان دون جوان يريد ان يقيم مملكة خاصة به في تونس غضب غضبا شديدا فامره بالعودة فورا وباقصى سرعة فعاد دون جوان الى اسبانيا بعد ان ترك 8000جندي وعهد الى غابيرو وسربلينو بقيادتها وامره بالمحافظة على المواقع التي احتلها .وفي 23محرم سنة982م استعد لمرافقة الجيش الذي تحرك الى تونس بقيادة سنان باشا والاسطول بادارة قلج علي باشا ووصلوا تونس في بداية ربيع الاول وفي 25من جمادى الاول سنة 982هـ الموافق 13 ايلول سنة 1574م احتلت تونس من جديد بعد حصار اشترك فيه امير امراء الجزائر رمضان باشا وامير امراء طرابلس الغرب مصطفى باشا وامير امراء تونس حيدر باشا وامير امراء الجزائر السابق احمد باشا .

اتبع حاكم فاس ابو عبدالله المتوكل على الله سياسة والده اتجاه جيرانه كذلك فقد اتبع

سياسة الموازنة بين اسبانيا والبرتغال لان اسبانيا غيرت سياستها الداخلية لان الحروب التي خاضتها في اوربا اضعفت جيشها اضافة الى ذلك فان الازمة الداخلية التي تعانيها اجبرتها على موارة الثوار للمسلمين الاندلسيين اما الاتراك فقد انشغلوا في تونس اما الفاسيون فبدلا من تقديم المساعدة للاندلسيين عملوا على ملاحقة مؤيديهم من المرابطين بغيت القضاء عليهم قضاء تاما.تحرك رمضان باشا على راس جيش مؤلف من 7000جندي مسلح بالبنادق و700 خيال و1000انكشاري و6000خيال محلي ولدى سماع ابو عبدالله محمد المتوكل على الله بالتحرك الجيش الجزائري جهز قواته والتقى الطرفان في موقع يقال له الروكان .سر السلطان مراد الثالث من ارتباطه بعبدالملك من الفاسيين ولم يكن عزل رمضان الباشا بسبب عدم ملاحقته للحاكم المخلوع حتى مراكش وان السلطان تجنب ابقاء رمضان باشا هناك وبما ان امير صنجق سلانيك حسن باشا رجل مفيد وشجاع ومن العرفين باوضاع الولايات الغربية لذلك عين امير امراء الجزائر .كان تبديل اغوات الانكشارية والاونباشاية يشكل عبا ثقيلا على الاهالي لان البعض منهم كان يجمع الهدايا بالقوة من الاهالي ولهذا فقد صدر فرمان يحذر الجميع من القيام بمثل ذلك وفي الفترة الاخيره فسد النظام والهدوء الذي كان يسود السفن الحربية وذلك بسبب مشاركة الانكشاريين بالاعمال البحرية فصدر فرمان سلطاني ينظم ذلك تنظيما واضحا .وبما ان حاكم فاس السابق ابو عبدالله محمد المتوكل على الله عندما التجا الى البرتغال اخبر ملكها بان له انصار يقفون الى جانبه لذلك كلفه ملك البرتغال الذهاب قبله الى اصيلا لجمع انصاره ومؤيديه وقد ثبت لنا ان وقائع هذه الرسالة غالبيتها صحيحه .وفي 4من حزيران سنة1578م اتجهت هذه القوة الى السواحل الافريقية على متن الاسطول وحالما وصل الملك البرتغالي الى اصيلا وجد مولاي محمد بمفرده ولم يتمكن من جمع فرد واحد لصفه سبستيان قد استولى على العرائش قبلا .اصيب البرتغال بمصيبه كبيره اثر موت سبستيان فبموته لم يبق من العائلة الملكية سوى عم واحد له وكان هذا ايضا كاردينالا فاستغل ملك اسبانيا الفرصة واخذ يسعى للحصول على ملكها واذا كان الكاردينالا قد عمل لاستلام الحكومة فترة من الزمن لكن الملك الاسباني

بدا باختلاق الفتن والدسائس لابعاده وقد تمكن من تحقيق نجاح باهر وجمع الدولتين تحت تاجه سنة1580م .هذه الاعمال وتلك التصرفات اغضبت الاهالي والانكشارية معا لكنهم لم يحركوا ساكنا خوفا من بطشه وجبروته وفي هذه الاثناء كانت فرنسا تحاول تعيين قنصل لها في الجزائر ولم تتمكن من ذلك الا بعدما موافقة الديوان على ذلك ووصل قنصلها الى الجزائر في نهاية سنة 985هـ 1577م . ارتكب امير امراء الجزائر حسن باشا خلال ولايته على الجزائر مظالم كثيرة ووصلت عدة شكاوي بحقه الى استانبول وغدا سكان الجزائر يتحدثون بتلك الشكاوي في كل مكان وصدر فرمان سلطاني الى اغوات الانكشارية والبلوك باشية حول صحة الشكاوي والشائعات الصادرة بحق امير الامراء كما كلف قلج علي باشا بالتوجه الى الجزائر للتاكد من صحة ذلك وعن المظالم التي ارتكبت بحق الاهالي .كان امير امراء الجزائر القادم رجلا مسنا لكنه يتمتع بسمعه حسنه لدى السلطان ونظرا لشجاعته وعدله وحنكته في القضاء على المشاغبين في المجر وظل مواظبا على سمعته استمر في وظيفته ومكافا له نقل الى الجزائر وقد تمكن في بادىء الامر من توطيد الامن والاستقرار وضمن الامن للجميع وطبق العدل ووجه العساكر الى مختلف المناطق لسهر على راحة الاهالي فاحبه الجميع وتعلق الجزائريون به تعلقا شديدا لانهم منذ زمن بعيد لم يشاهدوا مثل هذا السهر والعناية وكتاكيد على نجاح عمله عاقب المتمردين ومسببي الشغب ولاحقهم في كل مكان والزمهم بالطاعة واحترام القانون والنظام . واثناء تولي مراد الثالث السلطة اعلم احد المهتدين من ميلانو الصدر الاعظم بان الثروة التي جمعها حسن باشا كانت نتيجة لتعديه على غيرة فامر الصدر الاعظم صوقولو محمد باشا بمصادرة قسم منها وبلغ قيمة ماصادره منه بحوالي 200الف دوقية ولكنه ابقاه في منصبه وبما ان حسن باشا عمل عبدا لدى قلج علي ثم توصل الى قبطان لذلك فان قلج علي يعلم كافة الاماكن التي كان يستخدمها لوضع امواله فيها وبعد ان اخبر السلطان عن بعض اموال حسن باشا فان السلطان ارسل ابراهيم افندي الى الجزائر ووجد في المكان الذي قيل عنه 130 الف دوقيه فصادرها وبوفاة قلج علي باشا انتهى فصل من المع وادق الفصول في تاريخ الجزائر فلم يظهر بعده رجل بمستواه الحربي والسياسي وان الاشخاص الذين ظهروا بعده وتولوا

المناصب العالية عملوا بمجملهم من خلال منفعتهم الشخصية واستهدفوا الغنا السريع وغدت الباشوية منصبا خاليا من ادارة فعالة وحكمة يمكنها التصرف بالذكاء الذي تفرضه المرحله وتتطلبه الوظيفة المسندة اليهم .

خلاصة عن الاوضاع العامة من 982هـ1574م وحتى 1012هـ1600م

يرى من المفيد خلاصة عن اوضاع الجزائر نظرا لانتهاء مرحلة مهمة من تاريخها وبداية مرحلة جديده ويمكننا تحديد تلك المرحلة بعد وفاة قلج علي باشا بفتره قصيرة وماعقب ذلك من تبديل واضح في الاوضاع السياسية ففي سنة 982هـ اعتلى عرش السلطنة العثمانية مراد الثالث وكان صوقولو محمد باشا الطويل قد عين صدرا اعظم منذ سنة 972هـ ولم يكن السلطان مراد متفقا مع الصدر الاعظم في الراي وعلى الرغم من ذلك فقد وافقه على غزو ايران سنة 985هـ ولكن مجلس الوكلاء وافقه على ذلك ولقد استمر غزوا ايران 12سنة وتم الصلح في سنة 998هـ وقد كسبت الدلة العثمانية من جرائه بعض الاراضي لكن صوقولو محمد باشا استشهد سنة 986هـاثر طعنة خنجر وذلك قبل ان يشهد نتيجة الحرب التي كان متحمسا لها .وحالما تولى مراد الثالث عرش الامبراطورية اصدر فرمانا عاما وامر بتعميمه على مختلف الولايات العثمانية وفي هذه الاثناء قام الشاويش مصطفى بكتابة نسخة من المادة 56 المتعلقة بالامتيازات الاجنبية ضمن املاك الدولة العثمانية وسلمها للبندقيه لتصديق مجلس شيوخها عليها وبعد التصديق عليها ارسلها دوق البندقية الى استانبول مع تبريك للسلطان . ظل هذا الصلح يجدد باستمرار حتى سنة 1578م وفي هذه السنة كان فيليب الثاني قد عرض الزواج على ملكة بريطانيا اليزابيث وحينما رفضت انزعج كثيرا واعتبر رفضها اهانة له فقرر سحب الحماية الدينية عن انكلترا وفوق ذلك جهز اسطولا ضخما لغزوها وكان اسطوله سمي الاسطول الذي لايقهر وبنفس الوقت عمل للتقرب من الاتراك محاولا تجديد الصلح معهم تحسبا من مضايقته اثناء حربه الصعبة مع انكلترا كذلك فان السفير الانجليزي عمل هو الاخر على تجديد الصلح مع الاتراك وقد تمكن السفير الانجليزي في سنة 1587م من تجديد الصلح لمدة سنتين اضافيتين وفي سنة

989ﻫ وصل السفير البرتغالي الى استانبول طالبا المساعده ضد اسبانيا وقد حصل على وعد لتقديم المساعده للبرتغال وكن بعد انتهاء الصلح المعقود بين الدولة العثمانية واسبانيا وفيما اذا استطاع الصمود الى ذلطك الوقت وبما ان السلطان كان يحب زوجته صافية البندقية الاصل فان العلاقات ستسمر بين البندقية والدولة العثمانية مادام السلطان على قيد الحياة . بدات الحرب النمساوية العثمانية سنة 1001هـوقد استمرت اكثر من الحرب الايرانية ولم تتوقف بينهما الا بعد ان توصل الطرفان الى عقد معاهدة ذيثواطوروك وذلك سنة 1015ﻫ1606م زلقد حققة الدولة العثمانية في هذه الحرب انتصارا حاسما وتمكنت قواتها من استعادة كافة القلاع التي خسرتها سابقا زونتيجة لطول هذه الحرب وشدتها فقد انتشر الاشقياء في الاناضول وفي سنة 1003ﻫ توفي السلطان مراد الثالث قبل ان يشهد نهاية الحرب النمساوية وخلفه محمد الثالث ولم يعش محمد الثالث طويلا فقد توفي هو الاخر سنة 1012ﻫ 1603م .

الفصل الثالث

عهد البشوات

في سنة 958ﻫ احتلت طرابلس الغرب وفي سنة 967ﻫ احتلت تونس ولم يبقى بيد الاسبان الا جالطة وفي سنة 981خضعت تونس نهائيا للادارة العثمانية بتاريخ 6 ذوالقعدة سنة 967ﻫ صدر فرمان هيمايوني يقضي باسناد امرة امراء الجزائر الى قلج علي باشا اضافة الى قيادته للاسطول العثماني كما فوض بادارة تونس ظلت ولاية طرابلس الغرب مرتبطة بالجزائر على الرغم من تعيين امير امراء جديد عليها ولكنها لم تستمر طويلا فقد فصلت عنها كذلك فقد فصلت ولاية تونس وغدت كل واحدة تدار بشكل مستقل عن الاخرى وعين على كل منهم امير امراء ربط باستانبول مباشرة عين حيدر باشا امير امراء طرابلس الغرب

وتونس وفي سنة 985هـ فصلتا بعضها عن البعض فعين حسن باشا امير امراء طرابلس الغرب فبقي حيدر باشا امير امراء تونس . وهكذا غدت ولايات الشمال الافريقي مثل بقية الولايات العثمانية وطبقت عليها النظم العثمانية القاضية بتبديل بشواتها خلال مدة زمنية معينة وفي النصف الاول من القرن السابع عشر ازداد عدد اليولداشية (الرفاق)وبلغ عددهم سنة 1044هـ قرابة 23 رفيقا وبما ان الانكشارين كانوا فخورين بقوتهم لذلك فقد انتشرت الفوضى بين صفوفهم وكثرة اعمال السلب والنهب ولم يتجرا احد من الباشوات على الوقوف بوجههم سوى الباشا خضر الذي لجا الى تسليح القولوغلية سنة 1005هـ فاغرقت على اثرها ازقة الجزائر بالدماء ومن بعد ذلك اتفقوا فيما بينهم ولم ي كن الانكشاريون يريدون التخاصم مع هذه الطائفة (البحرية) لكونهم يتمتعون بتاييد الاهالي اضافة الى انهم مصدر اساسي لمعاشاتهم فاضطروا الى مسايرتهم وتجنبوا اثارة الحقد لديهم ان هذا الاحتمال الذي افترضه هايدوا مبالغ فيه في الحقيقة فقد ازداد عدد المهتدين لان صناع السفن والمهندسين غالبيتهم من المهتدين كما ان قسما منهم عمل بالقرصنة على حسابه الخاص ولدى ازدياد شهرة الجزائر في العالم بدا البحارة يتوافدون اليها من كل طرف للعمل فيها وقد ظل هؤلاء مرتدين قيافتهم وزيهم وقد لعبوا هؤلاء في احداث بعض التغيير في اسس تشكيلات القرصنة فانحرفوا عن غزوا المسيحيين لممارسة السلب والنهب كوسيلة جديده لهم .كذلك فقد ادخل المهتدون الى نظم القرصنة وطرائقها الشدة والفعالية والتعصب العرقي وبما يملكه بعضهم من معلومات بحرية تمكنوا من ادخال تعديلات مفيدة على السفن البربرية وانتشرت القرصنة انتشارا يكاد لايصدق . ويقول بردان : بلغ عدد سكان مدينة الجزائر سنة 1634م اكثر من 100 الف نسمة و15الف منزل و100 سبيل للماء وكانت المدينة مزدانة بحدائقها الجميلة الرائعة التي تحيط بالمدينة احاطة كاملة وبلغ تعداد هذه الحدائق 18 حديقة كما وجد فيا ستة سجون للمجدفين بالقرب من منازل الاسياد كما قدر عدد الاشخاص الذين عملوا بالتجديف في سفن القراصنة فرابة 30الف غالبيتهم من الاسرى ولم يفك الاهالي في يوم من الايام من ان يحملوا القراصنة مسؤولية المصائب التي تتعرض

لها المدينة يوما ما. لم يكن هذا الاجراء اجراء عسكريا او اداريا لان العسكرية تربية وتعليم وفي حال عودة هؤلاء الى قراهم سيكونون غير مسرورين وسيعملون على تدريب القروين والقبليين وانهم سينتصرون في حال اعلانهم الحرب على الانكشارين لانهم سيعمدون الى اتباع حرب العصابات اضافة الى انهم اعلم باحوال البلاد من الانكشارين . كان الفرنسيون من سكان البرو فانس وبعض المناطق الاخرى ياتون سرا الى الجزائر ويقومون ببيع السلاح والبارود للاهالي مقابل محصولاتهم الزراعية وفيما بعد عمل القبليون على تصنيع السلاح بانفسهم ووقفوا بوجه الانكشاريه . ازداد عدد الاسرى بسبب ازدياد اعمال القرصنة ففي منتصف القرن السابع عشر بلغ عدد الاسرى الموجودين في مدينة الجزائر حول 30الف اسير من امم واجناس مختلفة ولكن غالبيتهم من الاسبان والايطاليين وقد بيع الاسرى المسيحيون في سوق النخاسه بالمزاد العلني واخذ الباشا ثمن نصيبه من الاسرى المباعيين،لقدقام رجال الدين المسيحيين بجمع الاموال لافتداء الاسرى كعمل خيري ولزيادة استدرار العطف قدموا لوائح قاتمة بالسواد عن الاسرى الموجودين في الجزائر ولكن افادة الاسرى بالذات هي اصح وادق من الدعايات التي قام بها رجال الدين وقد افاد هؤلاء عن اوضاعهم كما ذكرنا.

الخلاصة لقد سارت الاحداث من 999ه وحتى 1070ه على هذا المنوال الذي عرضنا خطوطه الرئيسية وان الجزائر تمكنت خلال تلك الفترة من اذلال جميع دول العالم وعملت على احتقارها دون أي استثناء وكانت اكبر شخصية اوربية لدى رؤيتها مدينة الجزائر شامخة تخفض رأسها خوفا او احتراما للقراصنة الشجعان .

نشاط القراصنة الاتراك في البحار: كان على الراغبين في الحصول علىالشهرة والمجد القدوم الى الجزائر للانضمام الى صفوف الابطال الاتراك مثلما فعلت قبيلة القزاق التي قدمت من سواحل الاناضول للانضمام الى القراصنة للمشاركة باعمالهم البطولية تاركة بلادها البيضاء والمغطاة بالثلوج وان الرياس الذين تحركوا ببطء بادئ الامر شاهدوا فيما بعد ان البحار الداخلية ضيقة عليهم فعبروا جبل طارق بعلمهم السماوي اللون وقد بدا علمهم بالتموج عبر بحر المحيط يوم وقف عقبة بن نافع يطلق آهىت الحسرة والالم على

تلك المناطق لانه لم يتمكن من الوصول اليها.فالقراصنة الاتراك لم ينتظوا الزمن ليساعدهم على تبديل سفنهم من اجل الخروج الى المحيطات البعيدة،ولهذا دأبوا على صناعة سفن تتناسب وامانيهم وبهذه السفن هاجم السفن الانكليزية التي تتجول ضمن المياه الانكليزية والسفن الراسية في بلتيمور وقد كانت سفنهم بحركتها والتفافها تتموج وسط هذه المياه وكانها قصيدة شعرية يتغنى بها الشعراء والعازفون،ولمعرفة السفن التي تجاوزت الاميال في المياه الخارجية كانت من نوع قادرغة وهي سفن طويلة وعنيفة وقليلة الارتفاع عن سطح البحر،وابعادها تتراوح165-170قدم طولا و21-22قدم عرضا وعمقها اكثر من17 قدما،اما ارتفاع كنارها عن سطح الماء من 5-6قدم،ويعرف فورتن باشن السفن التركية ذات الفنار العالي الستخدمة في القرن السابع عشر بقوله(هذه السفن فنارها عال مليئة بالمسلحين من اعلاها الى اسفلها تحتوي على 18-20مدفعا عناصرها مع الطاقم 60 قرصانا. وفي القرن السابع عشر كانت قوة القراصنة تتالف من اربعين قادرغة مقسمة الى اسطولين وكانت قادرغة واحدة تزن 200-400طن في حين تزن سفينة القائد اكثر من 500طن. يتوقع ليون بول بان الاتراك خرجوا الى المحيطات البعيدة مع بداية القرن السابع عشر ولكن هذا القول غير مقبول لان الاتراك خرجوا الى المحيطات في القرن السادس عشر وربما

في العقد الاخير منه ،ومن الحوادث المشهورة في القرن السادس عشرالتي تؤكد خروج القراصنة الاتراك الى اعماق المحيطات تلك الحادثة اضافة الى عدة حوادث اخرى وقعت فيما بعد وهذه الحوادث بمجملها حدثت في الفرن السادس عشر .

احتلال جزيرة لوندي:تقع في جنوب بريطانيا العظمى وهي تبعد عن راس لاندزانيد حوالي مئة ميل باتجاه الداخل ضمن خليج برستول وهي جزيرة صغيرة لكنها كانت ذات اهمية كبيرة بالنسبة لتجار سكان برستول،وبرستول تعتبر النافذة الرئيسية للتجارة مع امريكا ففي سنة 1625م هاجم الاسطول التركي المدينة واحتلها وبقيت بايدي القراصنة الاتراك عدة سنوات ولم تسلم للانكليز الا بعد ان وقع الصلح مع القراصنة الاتراك بالشروط التي

فرضها القراصنة ومن هذه الشروط السماح للقراصنة الا تراك بالملاحة فيها عندما يتطلب الامر ذلك .

مهاجمة آيسلاندة:في سنة 1627م تحرك الاسطول التركي بقيادة الريس مراد لمهاجمة سواحل الدانمارك وبعد ان نهبها ودمرهاتوجه الى ضرب جزيرة ايسلاندة فهاجم السواحل الجنوبية للجزيرة والمزارع الموجودة فيها وخربها وسلب مافيها.وفي سنة 1636م اضطرت الحكومة الدانماركية لدفع الفدية للاسرى الباقين من الاربعمائة.

الهجوم على السواحل البريطانية:بالرغم من العلاقة بين الدولة العثمانية وبريطانية في القرن الخامس عشر الا ان القراصنة اصطدموا مع السفن الانكليزية سنة 1580م وسنة 1582م وتمكنوا من اسر 49 سفينة انكليزية خلال غزواتهم الاخيرة على سواحلها كذلك فقد تمكنوا من اسر قرابة 100شخص وقد شدد قراصنتنا هجماتهم على السواحل الانكليزية وفرضوا الحصار على سفنهم وغنموها وهدموا وخربوا سواحلهم وبلغت جرأتهم التوغل الى المياه الداخلية ولا يزال التاريخ يسجل لهم الاقدام والشجاعة ضمن صفحات البطولات البحرية.

مهاجمة آيرلاندة:لم تنج ايضا من هجمات القراصنة لغناها وفخامة قصورها ويعمل سكانها بصيد الاسماك والمرجان وتجارتها اقتصرت ما بين انكلترا واسكوتلندا ولذلك عمد القراصنة علىتركيز نشاطهم البحري على السواحل الانكليزية.

الهجوم على بلتيمور:في 19-20حزيران سنة 1041ه تحركت سفينتان حربيتان للاتراك ليلا من لاندزانيد باتجاه بلتيمور وفي الطريق اصطدمتا مع سفينتين فرنسيتين وتمكنتا من اغراقهما واسرتا سفينة انكليزية ونهبوا ما فيها وتابعتا طريقهما الى بلتيمور وكان دليلهما اليها الصياد دان غروان وحالما وصلوا هاجموها ونهبوا المدينة واسروا 108 اشخاص ومن ثم عادتا الى الجزائر .

الاتراك في مياه نيوفوندلاند:ومن مناقب القراصنة وبطولاتهم وصولهم حتى شمال امريكا فذهاب القراصنة الاتراك الى جزيرة نيوفوندلاند الواقعة في شمال امريكا (حاليا احدى الجزر الكندية)تدل على جرأة لامثيل لها في تاريخ الاعمال البحرية،وقد غنم القراصنة من

هناك اموالا وتحفا قيمة جدا ومن جملة السفن التي غنموها سفينة كانت تتجه الى فيرجينا فوجدوا على متنها فتاة انكليزية في غاية الجمال والحسن فاسروها وقدموها هدية للسلطان وحينما قدمت الى القصر قدم الجميع لرؤيتها. استمر نشاط الاتراك في المياه الانكليزية حتى سنة 1700م وتعرض الانكليز الى خسائر فادحة بالمال والرجال،ولدى مشاهدة سكان بنزانس لسفينة جزائرية بالقرب من سواحلهم تطوع السكان لحمل السلاح ومهاجمة السفينة ولكنها مرت دون ان يعترض سبيلها احد.

في سنة 993هـ/1585م عزل فندقلي او اولوج حسن باشا امير امراء الجزائر وعين مكانه امير امراء طرابلس الغرب محمد باشا وكما ذكرنا فان حسن باشا تولى الامارة من تلقاء نفسه وابقاه الديوان لعدة اسباب ولم يتمكن حسن باشا من التفاهم مع الانكشارين فتوجه رؤوساء الاقسام الى استانبول لتقديم شكوى ضده وعرضوا للديوان الهمايوني الاعمال التي يرتكبها ضدهم والاموال التتي يصادرها من الاهالي وممارسته التعدي على السفن الفرنسية وعدم التزامه بالاوامر الموجهة اليه في استانبول وكان رؤوساء الاقسام يرغبون بالحصول على ارادة سلطانية تقضي بعزله لكن السلطان العثماني كان مترددا لانه اعتقد بان حسن باشا لن يتخلى بسهولة عن منصبه لكن حسن باشا لم يصر على البقاء في الحكم فانسحب خارجا بسفنه الى ممارسة الاعمال البحرية .قام حاكم فاس المطرود والمنحدر من سلالة مليئة بالخيانة والغدر بالاتصال بالاسبان وبالمفسدين في الداخل من اجل اعادة حكم البلاد اليه ثانية وقد صدرت الى امير امراء الجزائر وطرابلس الغرب وتونس اوامر تطالبهم بالتيقظ والاستعداد بصورة دائمة من اجل التصدي لاي اعتداء محتمل مع ضرورة الاتحاد فيما بينهم وترصد حركات الاعداء واخبارهم بكل دقة وانتباه ز لم يلتزم احمد باشا وقراصنته بالاتفاقيات المعقودة بين الدولة العثمانية والدول الاخرى فقد ظل القراصنة يعلنون تمردهم وعصيانهم على اوامر استانبول باستمرار وبما ان الاوامر سمحت بوضع المحكوم عليهم بالاعدام كمجدفين على السفن الحكومية العائدة للجزائر وتونس وطرابلس الغرب لكن امراء الاوجاقات الثلاث عمدوا على اخذ هؤلاء المحكومين من السفن واطلقوا سبيلهم

.مرت السفارة الفاسية اثناء توجهها الى استانبول على طرابلس الغرب للذهاب من هناك برفقة قائد الاسطول فندقلي حسن باشا الذي كان ينتظرها هناك ووصلوا الى اسانبول في السادس عشر من محرم 998هـ / تشرين 1589م زقدم السفير الفاسي الهدايا والرسالة الى السلطان العثماني وفي السابع من شعبان 998هـ الموافق 11حزيران 1590م غادرت سفارة تركية استانبول متوجهة الى فاس حامل هدايا السلطان مراد الثالث الى مولاي احمد ووصلت مراكش في 1 صفر 999هـ الموافق 29تشرين الثاني 1590م .فشل احمد باشا في القضاء على العصاة وقتل في احدى المعارك التي خاضها مع يحى اما خضر باشا فقد عين امير امراء الجزائر وفي عهده ازدادت اعمال السلب والنهب وبرز في تلك المرحلة عدد من الرياس المهتدين فمن عملوا على الاغتناء وجمع الثروة امثال مامي قورصو ومامي نابوليتانو وارناؤوط مامي . استمرت العلاقة بين حاكم فاسا واستانبول بمساعدتهم لاستلام الحكم كذلك فان امير امراء الجزائر لم يعد يفكر بامور فاس ويعود السبب في ذلك لانشغاله بالقرصنة والاهتمام بمجريات الاحداث الداخلية في ولايته . لم يتفق شعبان مع الانكشاريين وكان شعبان باشا ياخذ خمس الغنائم من القراصنة ازاء ذلك جرت مناقشات حادة بين الانكشارية والبحارة (الرياس) حول تسديد بعض الواردات وكان شعبان يسعى للحصول على اذن من السلطان يخوله حق الاشتراك مع القراصنة وبالفعل فقد صدر فرمان همايوني الى اغا الانكشارية والرياس في الجزائر يعطي شعبان باشا احقية مشاركة القراصنة اعمالهم البحرية وقيادة سفينة قوية تمكنه من توجيه القراصنة اثناء الغزو والقرصنة باعتباره امير الامراء . وحالما وصل خضر باشا الى الجزائؤ قام بالاستيلاء على خمس عشرة الف قطعة ذهبية من سابقه مصطفى بك بحجة اصلاح مكسر الامواج ولكنه اخذها لنفسه . اقم الفرانسيون مركزهم التجاري الباسيتون بجوار مدينة لا قال وقد استغلوا ذلك لتعبئة بعض السفن بالمواد المحرم بيعها للمسيحين وارسلوها الى فرنسا . عندما كانت الواردات تزيد على مصاريف الصناجق كانت الاموال الزائدة ترسل الى المراكز لتضم الى ممتلكات الخزينة بالجزائر ولكن فيما بعد بدا اصحاب التيمار والزعامات بالاستيلاء على الواردات الزائدة في صناجقهم وشيئا فشيئا بدات اطماعهم تكبر وتتسع حتى

اصبحوا يستولون على واردات الاهالي فقلت الواردات ولم يعد بامكان خزينة الجزائر ان تغطي جزءا يسيرا من مصاريف العساكر ولهذا فقد كتب خضر باشا الى السلطان يستاذنه باعادة الاموال الى خزينة الجزائر كما كان الوضع سابقا وارجاع الواردات الى خزينة مركز الولاية فهدده الجميع بالعصيان والتمرد اذا تم ذلك .استمر القبليون في تمردهم وعصيانهم ففي سنة 1007 هـ 1598م قام القبليون المقيمون في جرجورة بتخريب ميتجه وتمركزوا في حدائق باب عزون وحاصروا المدينة مدة احد عشر يوما فاضطر الانكشاريون للتصدي لهم وتمكنوا من ابعادهم قليلا عن المدينة وفي سنة 1008هـ 1599م عين مكان مصطفى باشا دلي حسن باشا او (حسن بوريشه)وبما ان مصطفى باشا لم يستطع القضاء على التمرد والعصيان الذي حدث في الولاية فقد سجن في استانبول . درس الاسبان هذه الخطة وعهد المجلس الملكي الى اندريا دوريا تنفيذ الخطة لكنه اختلق

اسبابا عديدة بقصد التهرب ةعدم تنفيذ الخطة وبدا يدخل عليها التعديلات الى ان حولها الى خطة هجومية ووافقه المجلس الملكي على ذلك فباشر بتجهيز قوة كبيرة وقد اشتركت في هذه القوة جزر البليار ونابولي وجنوه وصقلية وسردينيا .بعد وفاة السلطان محمد الثالث خلفه السلطان احمد الاول فاستغل الفرنسي هذه الفرصة واعلم السلطان الجديد بما فعله الجزائريون وانهم هدموا الباستيون واستولوا على بعض السفن الفرنسية واهانوا القنصل واحتقروا الرعايا الفرنسيين وقد زاد السفير الفرنسي على الاحداث واظهر للسلطان خطر الجزائريين اذا استمروا في ممارسة اعمالهم فقرر السلطان احمد معاقبة الجزائريين وارغامهم على دفع التعويضات وكلف الارناؤوط مامي بذلط والغريب في الامر ان السلطان احمد الاول هدد بسحب كافة الاتراك من صنجق الجزائر وهذا خطا فادح ارتكبه السلطان العثماني .قدم مصطفى باشا مامورا الى تونس ومنها اتجه الى الجزائر والقى القبض على خضر باشا وبعد خنقه صادر امواله واعادها الى الخزينة العامرة في استانبول وتسلم كوسه محمد باشا امارة الجزائر وقد كتب على قبر خضر باشا (توفي في نهاية ذي الحجة سنة 1013هـ). استمر الفرنسيون بتحريض البقية من الاندلسيين على الثورة ضد اسبانيا وذلك

بهدف اشغالها داخليا . وقبل ان يقسم المارشال دو فرانس اليمين بصفته قائدا للاسطول بيوم واحد فقط قتل هنري الربع مطعونا بخنجر في رافياك وتخلصت اسبانيا من خراب كبير ومحتم ومع ذلك فقد كان فيليب الثاني على علم بتلك المباحثات وبناء على ذلك فقد اصدر امرا بتهجير الاندلسيين نهائيا من اسبانيا ولم يجدو الاندلسيون وسيلة سوى الاستعداد والتهيؤ لمغادرة اسبانيا .

قبل قدوم كوسه محمد باشا الى الجزائر بعدة شهور كان دوق توسكانيا قد اعد هجوما بحريا بغية احراق السفن الموجودة في ميناء الجزائر وبما ان اليهود كانوا يشترون من القراصنة الاشياء التي كانوا يغتنمونها باسعار رخيصة ويحققون من ورائها ارباحا طائلة لذلك ارتبطوا مع القراصنة بمصلحة المنفعة والفائدة وكان يهود ليفورن على علم بهذا الاجراء المعد والمهيا من قبل التوسكانيين لذلك اخبروا القراصنة فاستعد الرياس لمواجهة الهجوم واخذوا كافة الترتيبات اللازمة ولم يتمكنوا الا من احراق بعض السفن الخفيفة .وفي هذه الاثناء وصل الريس مراد وكان القراصنة والرياس يحترمون ويقدرون هذا القرصان المسن الذي قضى ستين سنة يتجول في البحار ولم تنج مله من الملل من غزواته وتمكن الريس مراد من اخماد العصيان وايقاف الثورة لكنه لم يتدخل بشان اعادة الباستيون من جديد وقد اشترط الجزائريون على السفير الفرنسي اطلاق سراح الاسرى الاتراك الموجودين في مرسيليا اولا ومن ثم اطلاق سراح الاسرى الفرنسيين وعاد السفير الفرنسي دون ان يحقق شيئا من رحلته الى الجزائر . وصل لوميني في السادس عشر من اب وعلى الفور هاجمها وتمكن من دخول المدينة بدون قتال لان الحراس والاهالي هربوا الى القلعة واغلقوا الابواب عليهم واخذ الطرفان يتبادلان اطلاق النيران وفي هذه الاثناء قدم الاستانبولي محمد بك بن فرحات لمساعدة الاهالي لكنه هزم وقتل اثناء الهزيمة وتمكن فرسان ايتان من اسر 1500 شخص مع مصادرة اموالهم وبعدما نهبوا المدينة اضرموا النار فيها وتركوها عائدين الى بلادهم .وافق السلطان احمد على الاجراء المتخذ وامر مصطفى باشا بدفع 10000فقط شريطة ان تعاد اليه كافة الاموال والاشياء التي اخذها الانكشاريون فامر الباشا بحفظها وارسل الكاخيا مع الاغوات سوية الى استانبول .   عمل سيمسون دانسا

جنبا الى جنب مع قراصنة الجزائر وكانت طائفة الرياس تريده ان يعلن اسلامه لكنه رفض ذلك واصر الاحتفاظ بدينه علما بان قسما كبيرا من امثاله قد تخلو عن دينهم ويعود سبب ذلك اما لايمانه القوي واما تحسبا لعودته في يوم من الايام الى زوجته الموجودة في مرسيليا ومهما كان الامر فقد تاكد للرياس بان سيمسون دانسا قام بمراجعة الملك الفرنسي سنة 1018هـ / 1609م واستفسر خلالها عن كيفية حصوله على العفو نظرا للاعمال البحرية التي قام وحصلت معه حادثة ضمنت له تامين العفو بسهولة . ايقظظ قرار دانسا الجزائريين من غفوة الثقة بالاجانب المنضمين اليهم كذلك فقد اثارت سرقته للمدفعين الغضب لدى سكان الجزائر قاطبة وعلى الفور طلب الديوان من الملك الفرنسي اعادة المدفعين ومعاقبة المجرم لكن القصر الملكي لم يعط أي اهمية لهذه المسالة بحجة انها حادثة عادية لكنها بالنسبة للجزائريين حادثة كبيرة وخطيرة وقد نتج عنها قطع العلاقات مع فرنسا نهائيا واشتد العداء بين الطرفين وتعرضت المراكز التجارية الفرنسية في الجزائر والتجارة الفرنسية الرئيسية الى خسائر فادحة تقدر بملايين الليرات . أما الذين قدموا الجزائر فقد رحب بهم السكان ترحيبا عظيما وكذلك فان الاندلسيين الذين اتجهوا الى تونس استقروا فيها وامنوا لانفسهم السعادة والهدوء لانهم كانوا مزارعين جيدين ويمتلكون مهنا جيدة كسبوا من ورائها حق التوطن والجنسية .وفي هذه السنة بدا الزواويون بالتمرد والعصيان فاستولوا على متيجه وخربوها فاجهز الباشا عليهم وتمكن من تفريقهم وطردهم ومنذ سنة 1016هـ /1606م اتشر الاتراك في كل منطقة من مناطق القلبيين الجبلية واحتلوا كوكو مركز القبليين وقد اسر الاهالي من ذلك لان الامن والاستقرار استتب في كافة مناطق الجزائر .كذلك فقد تحرك الجنويون لنفس الغرض وتمكن الطرفان من تحقيق بعض النجاحات البسيطة لكن قوة الجزائريين كانت اكبر منهما بحيث عجز

هؤلاء حتى عن اعاقة الجزائريين في ممارستهم للنشاط البحري او حتى التاثير على الاسطول الذي انطلق فاتحا اشرعته وسط البحار وبحارته يرددون الاناشيد وفي سنة

1025هـ/ 1616م بلغت خسائر السفن الفرنسية المجهزة ما يعادل 3ملايين ليرة ذهبية .وفي سنة 1026هـ / 1617م اطلق الفرنسيون سراح الاسرى الاتراك فعاملهم الجزائريون بالمثل فاطلقوا سراح اسراهم لكن الانكشاريين كانوا مصرين على عدم انشاء الباستيون ثانية فلجا الفرنسيون لاحتلاله مرة ثانية باسم الدوق دي غيز ولدى سماع الانكشاريين بذلك قرروا شن هجوم مفاجىء عليهم وفعلا هاجموا الفرنسيين الموجودين في الباستيون وقتلوا كل من عثروا عليه ولكنهم احضروا الرياس الفرنسيين وقيدوهم بالحديد وابقوهم مدة سنتين مقيدين بالحديد ولم يستطع سليمان باشا ان يفعل شيئا لانه كان يرتجف خوفا ورعبا من الانكشاريين .

عندما قدم حسين باشا للمره الثانية الى الجزائر كانت غارقة بالفوضى والاضطراب فالعداء كان سائدا مابين البحارة والانكشارية والقولوغلية فقبل عدة شهور توفي رئيس كوكو السيد عامر القاضي وحل مكانه اخوه احمد بن كتوش وقد بدا عهده باقامة الدسائس مع الاسبان . لم يكن ابن اخ احمد بن كتوش راضيا عما يفعله عمه ولهذا فقد افسد عليه خطته فاتصل بالاتراك وارسل الهدايا والرهائن لهم ودخل بحمايتهم وبعد مدة قصير اتهم القبليون بالاستعداد على التمرد والعصيان وبالاتفاق مع القولوغلية وقدموا الى محكمة المدينة واعدم زعمائهم وعندما تاكد الاهالي بان القولوغلية اشتركت فعلا بهذا العمل قاموا بنهب اموالهم وطردوهم من المدينة وحذر القولوغلية من دخول المدينة . ففي نهاية شباط سنة 1030هـ / 1620م كانت سفينة مرسيليا بقيادة القبطان دريفت تحمل اموالا بقيمة 100 الف ايكو قادمة من اسكندرونة وكانت تسير وعلائم الاطمنان مخيمة على بحارتها وفجاة التقى الريس رجب بها في خليج ليون فهاجموها واستولى على السفينة بما فيها دون أي مقاومة والريس رجب من انشط وامهر واظلم قراصنة الجزائر . وفي اليوم الثاني وصل الخبر الى الملك الفرنسي فاصدر حكما في مقر النواب ولاية (AIX) في 2 ايار سنة 1030هـ / 1620م باعدام 14 شخصا من الثوار وعلى البعض بالاعمال الشاقة في السفن وعاقب البعض الاخر بعقوبات مختلفة ولدى سماع الجزائر بالخبر حدث غليان شديد وطلب الباشا والديوان من الحكومة الفرنسية توضيحا لما جرى وقد شكوا في رسائلهم خطورة ماحدث وذكروا

الحكومة الفرنسية بقدسية الهيئة الدبلوماسية وفي 23 تموز وصلت الهيئة الفرنسية الى الجزائر تحمل جواب الملك الفرنسي وقد اظهر الملك الفرنسي في رسالته حقوق الضيف واعتذر عما حدث واخبرهم بالعقوبات التي انزلها بالمجرمين ومحاولته الصادقة لمنع حدوث ذلك ويامل الا تؤثر هذه الحوادث على العلاقات الطيبة التي تربط الطرفين بعضهما ببعض وعقب وقوع الحادث على الهيئة الجزائرية كلف الديوان كنان اغا واخاه الاكبر محمد شريف بالتوجه الى مرسيليا والتحقيق بالحادث .ظل القبطان لامبرت يتجول في البحر لمدة سنتين كبد الجزائريين خلالها خسائر فادحة وفي سنة 1624م جاء الى شواطىء مدينة الجزائر وهدد باعدام من لديه من الاسرى الاتراك مالم يسلم اليه اسرى ابناء امته مع اموالهم وظن الجميع بان تهديده فارغ لذلك لم يصدقوه ولم ياخذوا كلامه محمل الجد لكنهم شاهدوا باعينهم جثث اسراهم تتارجح على اعمدة المشانق وفي اليوم التالي رحل عن المدينة وبعد عدة ايام عاد اثر اسره لسفينتين جزائريتين واخبر الجزائريين بانه اذا لم يستجب لرغباته فانه سيقوم باعدام ما بداخلها فثار الاهالي هذه المرهف امر الديوان بتسليمه الاسرى الهولنديين لكنهم لم يعطوه الا قسما من الاموال الماخوذة من السفن الهولندية لانهم انفقوا قسما منه واعتذروا له على ذلك فاقتنع القبطان منهم وانسحب عائدا الى بلاده . وفي الحقيقة فان الغنائم الماخوذة من المسيحيين كانت اكثر من ذلك لانه في تلك المرحلة كانت السفن الماسورة تعتبر عائدة للباشا وله حصة من الغنائم لذلك فان القراصنة بعد استيلائهم على السفينة كانوا ياخذون مافيها من اموال وغنائم ومن ثم يحرقونها او يغرقونها لان احضارها الى الجزائر يسبب لهم مصاعب جمة والمستفيد الاول منها هو الباشا . وفي ربيع 1037هـ/ 1727م عاد الوفد من استانبول وبلغ الديوان باصرار السلطان العثماني والديوان الهمايوني على ضرورة اقامة الصلح مع فرنسا وفي هذه الاثناء اصيب خسروا باشا بالوباء وتوفي على اثرها فعين حسين باشا خلفا له وجاء مع الوفد الجزائري القادم من استانبول . قام الفرنسيون بعد التصديق والموافقة على اعادة الباستيون بفتح مراكز تجارية في مناطق متعددة من الجزائر وسمح للجزائريين بيع الجلود والشمع

والعسل للفرنسيين وبنفس الوقت فقد مارس الفرنسيون صيد المرجان في مختلف السواحل الجزائرية . سر الجميع بهذه المعاهدة وضمنت مرسيليا التجارة الشرقية واصبح الانكشاريون امنين على رواتبهم بصورة دائمة وتخلص الباشا من قيام الثورة والانقلاب عليه واستفاد القراصنة من حق الالتجاء الى الموانىء الفرنسية في الحالات الجوية الصعبة وعند نشوب الحرب مع الدول الاخرى .لقد فهم الانكشاريون منذ البداية خطورة اقامة مثل تلك المواقع العسكرية وكانوا محقين عندما قاموا بتدميره وعلى الرغم من خطورته فقد سمحوا باقامته من جيد بناء على نصوص المعاهدة الجيدة وفي سنة 1039هـ / 1629م غدا هذا الموقع يحتل اهمية كبرى بالنسبة للتجارة الفرنسية بصورة عامة فمن خلاله تمكنوا من تامين جميع متطلبات مرسيليا من القمح . وكان للجزائريين رجل في مرسيليا يدعى حمزة وحالما سمع بالاحداث الجارية خاف ان يحدث معه مثلما حدث لكنان ورضوان باشا ضحية لتمرد الفرنسيين لذلك عاد مباشرة الى الجزائر وقال انه عاد نتيجة للمعاملة السيئة التي كان يواجهها هناك فاضاف بذلك سببا اخر ضد الفرنسيين وكان سانسون بهداياه وصداقاته الشخصية ومشاوراته مع البعض الاخر يحاول اغلاق الموضوع وانهائه وحتى الديوان كان قد قرر ارسال رجل كرهينه بدلا عن حمزة الا ان مسالة اخرى اطلت براسها من جديد . في نهاية تشرين الاول سنة 1039هـ /1629م كانت الحكومة الفرنسية قد ارسلت سفيرا الى المغرب يدعى اساج لوين واثناء عودته صادف سفينة جزائرية في مياه سلا يقودها الريس محمد خوجه فالقى القبض على السفينة الجزائرية دون ان تبدي أي مقاومة ووضع بحارتها كمجدفين واسر ريسها واحضرهم معه الى فرنسا وقد علم الجزائريون بهذه الحادثة ايضا . وفي سنة 1041هـ 1632م عزل حسين باشا وعين مكانه يوسف باشا وكان حسين باشا قد انشا في الجزائر عدة امارات واتم بناء القشلة (الثكنة) العسكرية في شارع مده كما قام بانشاء بعض الابنية في باب البحر والمسمى بالباب الجديد واحدث تغييرا كبيرا في بناء قصر الجينية.

بعد اعلان مولاي احمد تبيعته للاتراك اصبح اكثر اطمئنانا لذلك بدا بملاحقة اعدائه في مختلف مناطق البلاد واظهر قوته ونفوذه للجميع ولكن اخاه الناصر رفض الخضوع لطاعته

ففر الى الاسبان فارسله الاسبان الى مليلة وهناك جمع الناصر انصاره واعلن الثورة ولكنه لم يتمكن من تحقيق أي شيء وكان ابن مولاي احمد قد اصبح شابا ولكي يقطع مولاي احمد امل اخيه الناصر بالسلطة ويضمن الهدوء والاستقرار في البلاد جمع اشراف المدينة واعيانها واخبرهم بانه يرغب بتعيين ابنه المأمون وليا للعهد فوافقه الجميع على ذلك فاعلن مولاي احمد في سنة 991هـ/1583م بان ابنه المأمون اصبح وليا للعهد وحالما ضمن مولاي احمد الاستقرار في بلاده قام بغزوا توات وتمبكتو ونتيجة لبعدهما وصعوبة اراضيهما فان هذا سيعرضه لمشاكل ومصاعب جمة قد تجعل عمله شبه مستحيل .لم يكن الملك فرديناند من انصار البقاء في شمال افريقيا ولهذا امر باخلاء اصيلا ولم يبق في يديه سوى طنجة وسبته وعندما توضحت الحركات الاسبانية ضمن مولاي احمد الامن والاستقرار في بلاده تحرك للاستيلاء على تمبكتو.لقد اتسمت ادارة مولاي احمد خلال الخمس والعشرين سنة من حكمه بالعدل والانصاف كما ارتبط مع الحكومة العثمانية بصداقة جيدة وحسنة واثبت حسن نيته للعثمانيين من خلال ارساله للسفراء بصورة دائمة ومستمرة وتزويدهم بالهدايا الثمينة والقيمة .بعد التجاء زيدان الى الجزائر قدم عريضة الى استانبول يلتمس فيها حمايته وانصافه واعلن عن استعداده لعقد معاهدة صداقة حالما يصبح حاكما فارسل الديوان الهمايوني فرمانا بهذا الخصوص الى امير امراء الجزائر لكن باشا الجزائر لم يكن لديه القوة التي تمكنه من تنفيذ مضمون الفرمان لان الانكشارية والقولوغلية كانت في حالة شجار وصراع عنيف فيما بينهما يضاف الى ذلك ان اخراج جيش قوي من الجزائر سيعرض البلاد الى خطرا كبيرا جدا . استفاد عبدالله من غياب عمه عن فاس وبعد الانتهاء من اعداد جيشه قام بمهاجمتها ولكنه اصطدم مع قائد قوات زيدان مصطفى باشا وجرت بين الطرفين معركة شديدة بالقرب من اسوارها اسفرت عن مقتل القائد مصطفى باشا وهزيمة قواته ودخل ابو عبدالله بن المامون فاس يرافقه عمه ابوفارس ثانية الى فاس وفي ربيع الاول سنة 1018هـ / تموز 1609م قام عبدالله بالذهاب الى منزل عمه ابو فارس وخنقه ليلا لانه علم نيته من استلام الحكم فيها من دونه .كان سلاطين بني عثمان منذ مئات السنين يدققون

النظر حول العهود الخاصة التي عهد بها حكام فاس لذلك بداوا بدراسة احوال فاس من جديد كما ان حكام فاس كانوا يسعون لاعلاء مركزهم فادعوا الخلافة لانفسهم ورئاسة العالم الاسلامي لكن جميع الدول الاسلامية ترفض ادعاءات حكام فاس . لقد راجع حكام فاس سلاطين بني عثمان اكثر من مرة طالبين مساعدتهم ولي بنوعثمان طلباتهم لكن هؤلاء الحكام حالما يصلون الى الحكم او يتخلصون من اعدائهم ويشعرون بقوتهم على الفور يتناسون علاقتهم بالسلطان العثماني ويندفعون للتقرب من الاسبان . اتجهت الهجرة الاخيرة من مسلمي الاندلس الى مدينة سلا واستقروا بها وهناك اعدوا السفن وبداوا بممارسة اعمال القرصنة وكان اهتمامهم الاول موجها الى الاسبان للانتقام منهم وفي سنة 1611م تضاعف عددهم كثيرا واستفادوا من انشغال حكام فاسب امورهم الداخلية وشكلوا ديونا خاصة بهم مقلدين بذلك التشكيلات التركية . كان شيخ زاوية تامغروت (سيدي محمد بن ناصر) قد منح العياشي لقب سلطان المغرب واستنادا على ذلك فقد اعلن العياشي نفسه سلطانا ولم يعارضه الاتراك في اتخاذ هذا اللقب لان حكام المغرب الاقصى لا يلتزمون بوعودهم وعهودهم فالديوان الهمايوني كان يرسل في كل سنة سفيرا الى حكام المغرب للتاكد من تبعيتهم لانهم عندما يكونون ضعفاء يرسلون الهدايا والسفراء ويعلنون عبوديتهم للسلطان العثماني وحالما يشعرون بالقوة يتمنعون عن ارسال أي شيء.

كان الاشراف يستقرون في تافيللت وسلجماسة وكان الشيخ محمد يرغب بتوجيه ضربة شديدة ضد الشيخ العياشي ولكنه كان يخاف من تدخل الاتراك والتصدي له ولهذا انصرف الى محاربة مرابطي الدلائية لكنه انهزم فعاد الى مراكش واستقر بها مغلقا ابوابها عليه في حين بدا نفوذ العياشي يتسع ويقوى لكن اتساع نفوذه افسد العلاقة الحسنة التي كان يرتبط بها مع الاندلسيين في سلا وانتهى الامر بالعياشي الى مهاجمتهم وتشتيتهم لكنه اضطر الى مصالحتهم لان الانكليز كانوا يحاولون التفاهم مع قراصنة سلا والجزائر . قوى الاندلسيون في سلا بعد ذلك واتسع نفوذهم واقاموا مع القراصنة الاتراك علاقات جيدة واتفقوا سوية على مهاجمة المسيحيين والتصدي لهم وغدا الجميع يعملون في ظل العلم التركي وبذلك اختاروا اقامة شركة مع اقوى الاتراك واشجعهم . وبعد مقتل العياشي حكم مرابطو الدلائية

فاس وغدت الخطبة منذ سنة 1048هـ/ 1638م تقرا باسم السلطان العثماني .كان الشيخ محمد يحكم مدينة مراكش والمناطق المجاورة لها لكنه اصطدم بالمرابطين واصحاب الزوايا الدينية وكان الشيخ محمد يقول في خطبه واحاديثه (ان الكذب والنفاق والخيانة منبعها الزوايا والرباط اصلها) وفي سنة 1064هـ/ 1643م توفي الشيخ محمد وخلفه ابنه ابو العباس وهذا ايضا قتله وصيه عبدالكريم سنة 1070هـ /1659م وحل مكانه . لم يكن عبدالكريم من الاشراف لذلك فلم يتمكن من تاسيس سلالة حاكمة كذلك فان السلالة السعديين انتهت ايضا . تمكن الفوضويون من انقاذ فاس لكن هؤلاء كانوا بعيدين عن سلاطين استانبول لذلك لم يتمكنوامن توجيه ضربه قاسية ضدهم وفي الوقت الذي كان الجزائريون يشجعون على استمرار العصيان والتمرد كان الجنوب هادئا وساكنا لكن التمرد القائم في تافيللت وجبال اطلس والمناطق الشمالية مازال مستمرا وكان يشتد يوما بعد يوم وليس مستبعدا على الاتراك ان يعكسوا هذه الصورة ويشنوا هجوما على اشراف سجلماسة مستغلين الفوضى السائدة في تلك المناطق .

في الوقت الذي جاء فيه يونس باشا الى امارة الجزائر كان القبليون يعلنون تمردهم ثانية ونتيجة للنزاع على الحدود بين الجزائر وتونس نشب صدام مسلح بين الطرفين اسفر عنه سفك دماء كثيرة وكان هذا اول صدام بين الاخوة المسلمين ادرك يونس باشا خطورة ذلك فعمل على ايقافه وحل الخلاف بينهما في حين استمر القراصنة بممارسة اعمالهم البحرية كالمعتاد وقاموا بضرب السواحل الاسبانية والايطالية والبرتغالية ووصلوا بغزواتهم الى سواحل انكلترا وايسلاندة . لكن سانسون نابلون تاخر لسببين اولهما : ادراكه بان الوقت غير ملائم لادخال أي تعديل على بنود المعاهدة القديمة بسبب الخلاف القائم بين الطرفين , وثانيهما : محاولته الحصول على الامتياز الممنوح للجنوبين في طبرقة ولكن هذا يتطلب منه ازالة الخلاف القائم وتسوية الاوضاع وهذا الامر يستغرق زمنا طويلا وبغية الحصول عليه باقصر وقت اعتقد ان شن هجوم مفاجىء على طبرقة لطرد عائلة لومليني منها يحقق غايته ومقصده ولهذا اتفق مع بائع الخبز الجنوي على فتح ابواب المخازن امام الفرنسيين

مقابل مبالغ كبيرة من المال .جمع سانسون عساكره من لاقال والباستيون واضاف اليهم بعض الحراس الموجودين في طبرقه وبعد ان اركبهم بالسفن كلف فرانسيو دارفيو بمساعدته وفي اليوم المحدد استغل ظلام الليل واتجه الى طبرقة وعندما بلغها اعطى الاشارة المتفق عليها مع الخباز . اصبحت مدينة الجزائر في حالة ثورة دائمة بسبب الغنى وامتلاء خزائن الرياس والاهالي بالمال والمجوهرات هذا الغنى اسفر عن حدوث مرحلة من الفوضى بلغت ذروتها سنة 1043هـ/ 1633م وقد طالب الانكشاريون بانتزاع ادارة الخزينة من الباشا وتحميله مسؤولية دفع رواتب العسكر . قبل حسين باشا هذا العرض مكرها لان الدخل الخاص النخصص للباشا لايكفي لدفع المعاشات للعساكر فغضب الانكشاريون منه والقوا القبض عليه ورموه بالسجن وبعد معاملة قاسية اطلقوا سراحه فاستغلت القولوغلية الفوضى السائدة وتمرد الانكشارية وقررت القضاء على الانبكشارية واستلام الحكم بدلا منها . تسلم علي بتشين قيادة السفن البحرية وغدا حكمه ساريا على جميع الرياس وطائفة البحر مع الطوائف الاخرى بما فيها الانكشارية والقلوغلية وكان يملك قصرا على شاطىء البحر ومضافة فخمة في القسم العلوي من المدينة ولديه ثروة لاتعد ولا تحصى اضافة الى 500 اسير من غير العاملين بسفنه وحقوله ومزارعه كما انشىء جامعا بالقرب من السجن واصبح يحكم الجزائر بما يملكه من قوات سرية وعلنية وكان هدفه الاستيلاء على البلاد بشكل رسمي ولهذا بدا برسم الخطط واتخاذ التدابير التي تساعده على التخلص من سلطة السلطان العثماني والقضاء على الانكشارية نهائيا باعتبارها تشكل عقبة رئيسية في وجهه وبدونها يتمكن من حكم البلاد دون رقيب او حسيب ولكسب انصار له تزوج من ابنة سلطان كوكو . وصل الوفد الفرنسي الى الجزائر في 15 من تموز سنة 1624م وقد انزعج القراصنة لدى مشاهدتهم سفينة ترفع العلم الفرنسي وعم الغضب وجوه الجميع ولكن الغضب خف حدته حالما اعلمتهم استانبول بان الاصول والاعراف تقتضي ذلك . نزل الوفد الى البر يوم السبت اثناء اجتماع الديوان فاستدعاهم الديوان واستمع اليهم وعن سبب زيارتهم ووعدهم بانه سيطلق سراح جميع الاسرى وسر الجميع بهذا الوعد واعلن الديوان عن قتل كل من يتعرض للسفير ومرافقيه .

ادرك يوسف باشا ان مباحثاته مع فرنسا فرصة سانحة ومريحة وبما ان الفرنسيين هم اول من بدا العداء وان السفن والاسرى الموجودين في الجزائر واخذوا بنتيجة الحرب اذن فهم غنائم ومن حق الجزائريين بيعهم في البازار (السوق) وتمكن بدهائه من اقناع الديوان بعدم استرداد الاسرى دون مقابل وبما ان بردان كان ينتظر صدور قرار بذلك ولهذا باشر على الفور بشراء الاسرى وعرض صمسون لوباج على الجزائريين تكليفا يتضمن استبدال 342 اسير فرنسي ب 86 اسير تركي من الموجودين في مرسيليا وكا من المحتمل جدا قبول الديوان هذا العرض لكن الباشا اعترض على هذا التكليف واشاع بان الثمانية والستين اسيرا قد بيع قسم منهم في مالطة منذ ومن بعيد وكان يامل من ذلك قيام ثورة من تحت يده وطلب من الديوان السماح له ببيع جميع الاسرى الفرنسيين بغية انقاذ الاسرى الاتراك ولكن الديوان لم يصدقه . اعتاد القراصنة على مهاجمة المعرض الذي يقيمه اهالي مسينا كل سنة فياخذون منه الاموال والاشياء التي يجدونها فيه كما كانوا ياسرون من كالابريا سنويا اكثر من 700 شخص ولدى قدوم القراصنة بفر اهالي فيكو الى الجبال ويبقون فيها حتى خروج القراصنة وعودتهم من هناك ازاء ذلك اضطر حاكم نابولي في 9 اب سنة 1636م على طلب النجدة والمساعدة من غراند ميترين حاكم مالطة . غدت السفن الجزائرية مشهورة ويحسب حسابها وبهذا الصدد يقول بردان : في هذه المرحلة اصبحت كل سفينة جزائرية تزود من 25 الى 40 مدفعا كما ان الطواقم البحرية سلحت هي الاخرى تسليحا جيدا وقد بلغ عدد اسطولهم اكثر من 70 سفينة يضاف الى ذلك فقد وجد مثل هذا العدد من السفن ذات المجاديف وبهذا يكون بردان قد قدم لنا فكرة عن القوات البحرية الجزائرية انذاك وبالرغم من معرفة فرنسا بما يتمتع به القراصنة من قوة ومايتصفون به من شجاعة ومهارة بحرية الا انها كانت مصممة على التصدي لهم ومواجهتهم وفي السابع من تشرين الثاني 1047هـ / 1637م تحرك الكومندور مانتين ب 12 سفينة حربية كبيرة وقد رافق صمسون لوباح الاسطول بهدف تعديل معاهدة 1628م وتصديقها من ديوان الجزائر واعادة الاسرى المحتجزين في الجزائر كما ان الاسرى الجزائريين كانوا موجودين في الاسطول

الفرنسي وحينما تحرك الاسطول نحو الجزائر اعتقد الفرنسيون ان الجزائريين سيخضعون فورا نظرا للهيبة التي سيفرضها الاسطول عليهم لكن فصل العواصف البحرية اقترب وانه لايمكن الثقة بهواء البحر الابيض المتوسط وهناك احتمال كبير من تعرض الاسطول للغرق اثر عاصفة بحرية غير متوقعة . وفي 2 من كانون الاول دخل الكومندور شاستيلوز ميناء الجزيرة واستولى على سفينتين محملتين بالقمح واسر طواقهما وعددهم 70 بحارا كما انقذ 45 اسيرا مسيحيا كانوا يعملون بالتجديف ولم يبق شاستيلوز طويلا في الميناء وعلى الفور فتح اشرعة سفنه وانسحب عائدا الى بلاده وقد قصد من ذلك اهانة الجزائريين . طالب اصدقاء واقرباء الاسرى الاتراك الموجودين في الاسطول الفرنسي الباشا والديوان بقبول الشروط الفرنسية لكن الاغنياء وقفوا في وجه اقامة أي معاهدة جديدة مع الفرنسيين لانها ستلحق باعمالهم ضررا كبيرا . اعلنت قبائل جرجورة بقيادة سلطان كولو (ابن علي) العصيان لمدة سنتين وبما انها قامت بقطع الطريق فقد اضطر الانكشاريون للتجول بعيدين عنها وحالما عادوا الى الجزائر وجدوها غارقة بالحزن والاسى . كان السلطان العثماني قد طلب المساعدة من الرياس لانه كان في حالة حرب مع البندقية واذا كان الرياس يريدون التماطل وعدم الذهاب فان الهدايا التي وزعها عليهم ممثل السلطان القادم من استانبول جعلهم يلبون نداء السلطان . تحرك الاسطول الجزائري بسرعة واثناء سيره في الطريق تعرض لعاصفة هوجاء اجبرته على الالنجاء الى افلونيا واثناء استراحتهم هناك هاجمهم اسطول البندقية بقيادة الاميرال قابللو ب 20 سفينة ونتيجة لقرب سفن الجزائر من بعضها البعض لم تتمكن من الالتفاف والمناورة واستخدام مدفعيتها .ولدى سماع السلطان بالمصيبة التي حلت بالجزائريين . قدم البندقيون الى السلطان مراج 200 الف سغين . نتيجة لذلك كان من السهل تقديره ومعرفة غضب الجزائريين فالرياس عندما شاهدوا وتاكدوا من ان غيرهم المستفيد وانهم وحدهم دفعوا الثمن غاليا وضحوا بدمائهم واموالهم ولهذا فقد قطعوا وعدا على انفسهم بعدم القيام بمثل ذلك والتزموا بوعودهم .ولدى سماع الملك الفرنسي بموافقة الجزائريين على اعادة بناء الباستيون كلف احد مقربيه ويدعى جان باتسيت بالتوجه الى الجزائر سنة 1639م بمهمة التباحث مع الجزائريين للتوصل الى نتيجة

مرضية وكانت المعاهدة التي يحملها جان باتيست الى الجزائريين لاتختلف كثيرا عن معاهدة سنة 1628م وبما انه كان لدى الطرفين رغبة صادقة باعادة العلاقات فيما بينهما لذلك وقعت معاهدة من قبل الطرفين وصدق عليها وعلى الفور بدا اصحاب المتاجر في الباستيون بانشاء محلاتهم التجارية واسرعوا باستكمال رجالهم وكافة لوازمهم الاخرى . اثر هذه الحملة التي قادها يوسف باشا لم يعد لكوكو أي سلطان وان عصيانات القبليين لو حدثت ثانية فانها لم تعد تقلق الادارة لانها لا تمتلك القوة والباس التي كانت لها سابقا . بعد عودة يوسف باشا من حملته حدث عصيان في المدينة فالقى الانكشاريون القبض عليه وسجنوه في قلعة السلطان (حصن الامبراطور) وحل مكانه بورصلي محمد باشا امير الامراء وقد بحث محمد باشا عن وسيلة تمكنه من اخراج يوسف باشا من السجن ولكن

يوسف باشا توفي في سجنه سنة 1052هـ .اصيب فرسان مالطة بالدهشة نتيجة للحوادث والتجهيزات التي شاهدوها فقام المعلم الاكبر غراند ميتروه بول لا سكاريس بترميم الحصون والاستحكامات وتقوية نفسه استعدادا للمقاومة كما استدعى الفرسان الموجودين في اوتيدة بري لكن الاسطول العثماني قام بعملية انزال بسيطة في جزيرة غوزة ومن بعدها هاجم جزيرة كريت .كانت تجارة الجزائر بمعظمها مع فرنسا ففي فرنسا يبيعون محاصيلهم ومنها يشترون السفن والمدافع والذخيرة وماشبهها من لوازم ومعدات حربية لكن الدول المسيحية التي كانت تبيع السلاح الى المسلحين طردت من رحمة البابا والكنيسة لكن ملوك فرنسا تحركوا بعكس الامر الديني ولم يبلغوا ذلك الى قناصلهم لكن الاكليروس لم يسمح للقساوسة الفرنسيين بتقديم أي مساعدة للمسلمين وبصورة خاصة للجزائريين وبما ان فرنسا عمدت مؤخرا الى عدم بيع السلاح والذخيرة للجزائريين لذلك بدا الاتراك والجزائريون يظهرون العداء العلني للفرنسيين واتسعت دائرة الجفاء بين الطرفين .لكن بالرغم من المعاملة القاسية والمضايقات الكثيرة التي شهدها هؤلاء القساوسة الا انهم كانوا صبورين وعدا عن الخداع والاهانات والتحقير فقد تحملوا الضرب والسجن من الباشوات والدايات وفوق هذا فقد تعرضوا للسجن من قبل حكوماتهم وفي نهاية الامر

اصبح القناصل من القساوسة انصارا لجمعية المسيوفنسان سان دبول ولكنه ادرك مؤخرا انه خدع فكتب الى مرسيليا مطالبا بمعاشات القناصل المدنيين متذرعا بانهم خصصوا اوقاتهم لخدمة مرسيليا اكثر مما خدموا الجمعية .

في سنة 1075هـ/ 1647م عين يوسف باشا امير امراء الجزائر بدلا من احمد باشا وبقدومه منح القراصنة دفعا جديدا وتعرضت ايطاليا لخسائر كبيرة جدا ولم ينسوا البروفانس بمهاجمتهم والحقوا اضرارا كبيرة بسفينة القيادة العائدة لاميرال البحر الفرنسي كذلك فان اميرال مالكة فقد حياته على ايدي الجزائريين . وفي بداية شهر اذار القى القبطان حسين باشا القبض على موروزيني في قنال اغربوز وقتله ولكن المسيحيين بقيادة غريماني اجبر الاسطول العثماني لى التراجع الى قندية كما استولى على القافلة البحرية الموجودة في جزيرة مديلي وبهذا الخبر ازداد حزن الجزائريين اضافة الى حزنهم بسبب الوباء الذي تتعرض له البلاد . استمر الوباء بفتك باهالي الجزائر لمدة سنتين متتاليتين 1648-1650 م وقد اعقبه هدوء واخذت احوالها تتحسن شيئا فشيئا كذلك فقد اشهدت الاطراف المجاورة لقسمطينة هدوءا واستقرارا لم تعرفه منذ سنوات عديدة وتمكن فرحات بك امير الصنجق من ادارة الامور ادارة جيدة وحسنة ولهذا فقد سمح للقولوغلية الدخول الى المدينة شريطة دفع التامينات اللازمة . وفي سنة 1058هـ / 1648م ارسل السلطان العثماني فرمانا الى اوجاق الجزائر يامرهم الالتحاق بالاسطول الهمايوني لكن الرياس لم يلبوا امره ولم يوافقوا على الالتحاق ولكنه حينما ارسل لهم 60 الف ليرة ذهبية تعويضا لهم على المصاريف قبلوا الالتحاق بالاسطول الهمايوني . لقد كانت القرصنة عملا مربحا لان الذين مارسوها او اشتركوا بها حققوا من ورائها غنى واسع ازاء ذلك اصبح كل شخص يهتم بها ويوليها اهتمامه كما ان الجميع ارتبطوا مع القراصنة بعلاقة جيدة وحسنة فتجار نوتردام وامستردام وجنوة وليفورن كانوا يقومون بالسمسرة على الغنائم التي يحصل عليها القراصنة فالمخازن مملوءة بالغنائم الوفيرة والسماسرة كانوا ياخذون سمسرة عن كل عمل يقومون به ولهذا فان الشخص الذي يشنق من هؤلاء السمسرة لم يكن له أي اهمية او تاثير مهما كان ومن أي جهة كان لان شخصيات كبيرة مارست ذلك كما قدمت شكاوى

كثيرة بحق حاكم توسكانيا لكونه غدا مرجعا رئيسيا لتلك الشخصيات ومركزا لتلك الغنائم . وقد تمكن كل من موروزين وغريماتي وكورنارو من حصر بعض المناطق فاخذوا يتجولون باسطولهم ضمنها وفي سنة 1062هـ/ 1651م هزم الاسطول العثماني امام مونجنيتو قانديا وفي هذه الفترة بدا الرياس في تونس والجزائر يسلكون سلوكا ضعيفا ومتفككا وكان قبطان باشا يرغب بقطع رؤوسهم جميعا ولكن هؤلاء الرياس انفصلوا عن الاسطول العثماني وانطلقوا ينبهون ويدمرون الاطراف التي توصلوا اليها واستمروا بهذا العمل الى ان وصلوا بلادعم فلاحقهم فوسكولو واستولى على بعض سفنهم .وفي سنة 1064هـ/ 1653م ترك الكاردينال انطوان لقراصنة البربر اشياءه الخاصة مع سفينة وطاقمها المؤلف من 70 شخصا والتجا الى موناكو وتمكن من انقاذ نفسه انزل الابطال الاتراك العلم البريطاني من على بلدية بليموث وامسكوا بسفينة فرنسية بالقرب من سان مالون كما هجموا ثلاث سفن حربية كانت راسية بالقرب من جزر البليار في منطقة سان جوان دوتريش وبذلك غدا العلم الاخضر يرفرف عزيزا في كل مكان .انزعجت الحكومة الفرنسية كثيرا من المضايقات التي يتعرض لها قناصلها والاحاديث التي تدور بشان الاموال المرسلة الى القساوسة والدسائس التي ارتكبوها هؤلاء القساوسة بحجة شراء الاسرى واستخدامهم للاموال بشكل سيء جدا فالفرنسيون يعلمون جيدا ان الجزائريين الا انهم كانوا مجبرين على مسامحتهم بسبب انشغالهم بحربهم مع الاسبان ومع ذلك ومن اجل المستقبل بداوا يخططون لانتقام من الجزائريين فباشروا بمهاجمة جيجل كما ان الكاردينال مازاران يهدف للاستيلاء على السواحل الجزائرية ولهذا فقد كلف فرسان دي كلرفيله بمهمة تقصي احوال

الجزائر وكشف نقاط الضعف فيها وبناء على التقارير المقدمة اليه اختيرت بون وستورا والقالو كنقاط للمهاجمة وانزال القوات .ايقظ هذا الخبر الحقد لدى الجزائريين ولم يكن هذا جديدا على الجزائريين فهم يعلمون حيل ودسائس الفرنسيين وكرد تصرف بيكاني قاموا بالقاء القبض على القنصل الفرنسي ورموه بالسجن وصادروا الاموال الفرنسية

واحتجزوها على شكل تامينات فاعلن القسيسون تمردهم في مرسيليا لدى سماعهم بان الاموال التي ارسلوها خصيصا لشراء الاسرى استخدامها القنصل لاغراض اخرى فقدم اهالي مرسيليا شكاوى عاجلة الى الملك الفرنسي ولم يجد الملك الفرنسي وسيلة سوى مخاطبة باشا الجزائر كتهدئة للاوضاع وقد اعلمه في رسالته انه عزل بيكاني وعين مكانه المستر لوي قبلان مديرا للباستيون وقبل ديوان الجزائر رسالة الملك لكن انشاء الباستيون ثانية تاخر بسبب اضطراب الاوضاع الداخلية في الجزائر .حالما سمع ابراهيم باشا بان شخصا اسمه علي قد عين مكانه على الفور قام بارسال 500الف قرش الى استانبول لابقائه في منصبه وقد علم الجميع بذلك لكن احدا منهم لم يتجرا على رفع صوته او التكلم بكلمة واحدة وكان من اهم اسباب حدوث الثورة محاولة الباشا اخذ حصته من الاموال المرسلة من استانبول الى الرياس كمكافاة لهم لالتحاقهم بالاسطول العثماني وادعى الباشا بان اخذه لهذه الحصة كتعويض عن الغنائم التي سيحصل عليها الرياس بصورة مستمرة فالقى الثوار القبض عليه ورموه في السجن .

وقائع فاس

كان من بين الاشراف الذين قدموا من المشرق الىمغرب سنة 664ه اشراف تافلليت واشراف سجلماسة واشراف فلالي والاشراف العلويون وقد لعب هؤلاء دورا بارزا وهاما على الساحة السياسية في البلاد . ففي الزمن الذي اسس به الاشراف السعديون حكومتهم كانت منطقة سلجماسة بايدي الاشراف الحسينيين وكان المنصور من السلاطين السعديين وقد بذل جهودا كبيرة الى ان تمكن من اخضاعهم لسلطانه والزمهم بطاعته وعندما توفي استغل هؤلاء الفوضى التي حدثت عقب وفاته وبداوا يطالبون بالزعامة والاستقلال ثانية . فعندما كان كل من العياشي واولاد زيدان يتصارعون في جبال اطلس بهدف السيطرة على حكومة مرابطي الدلائية قام مولاي الشريف بالاستيلاء على الادارة في حكومة الاشراف الحسينيين سنة 1024ه / 1633م وفي سنة 1075ه/ 1647م كانت قبيلة بني اساس تستقر بالقرب من ومجدة وهي في الاصل تابعة للجزائر فهاجمها مولاي محمد وشتت افرادها ونهب ماليديها ومن ثم عاد الى وجدة ومن هناك بدا بمهاجمة جميع الاطراف وقد استمر في تقدمه حتى

جوار تلمسان لانه لم يجد من يتصدى له او يقاومه وقد اغتصب خلال تحركاته الشيء الكثير من ارزاق الاهالي وحيواناتهم واظهر خلالها شجاعته وجسارته لكن الاتراك والاهالي في تلمسان تصدوا له وتمكنوا من طرده مها سنة 1648م ولكنه كان قد الحق بالمنطقة خسائر كبيرة وفادحة .

كان لمولاي محمد اخ اسمه الرشيد وكان هو الاخر يبحث عن المجد والشهرة ففرخائفا من اخيه وغدا كل من الشريفين يبحث عن عرش وكان الرشيد قد صادف قصرا لاحد اليهود با لقرب من تازا وبني اسناسن فنهبه وقد ساعدته تلك الاموال التي حصل عليها على الشهرة وبما ان مولاي محمد الشريف قد تجول في تلك المناطق سابقا لذلك اعتبر عمل اخيه اعتداءا على اراضيه وممتاكاته فجهز جيشا واتجه نحو الرشيد وتقابل الطرفان في سهل الانجاد وفي اثناء القتال اصيب مولاي محمد بطعنة مات على اثرها فقرر مولاي الرشيد الاقامة في وجده واخضع القبائل المجاورة لطاعته زاخذ نافيللت من ابن اخيه واعترف بالمعاهدة التي اقامها مع اخوه الجزائريين سنة 1059هـ 1649م.بقي علينا ان نلاحظ ان المرابطين لم يتدخلوا في تاسيس هذه الحكومة كما انهم لم يرتبطوا معها بمعاهدات واذاكان الحسينيون قد ادعوا انهم ينحدرون من سلالة الرسول عليه افضل الصلاة والسلام وانهم اصحاب فكرة مثالية فان السعديين ادعوا نفس الادعاء. عندماكان سكان المغرب يتصدون للاعتداءات المسيحية على بلادهم ويقاومونها بكل قوة وحزم كان الاشراف الحسينيون يسعون لتعميق نفوذهم وتقوية حكومتهم مستغلين حالة الفوضى والاضطراب التي تواجهها المنطقة فاقاموا لانفسهم اولا زعامة ثم امارة ومن ثم حكومة قوية ومتينة وقد اعتمد مولاي الرشيد على جميع الاشراف وانتقى موظفيه من بين الاشراف وبما ان منافع الاشراف ومصالحهم تتناقض مع منافع ومصالح المرابطين لذلك تخوف المرابطون من ازدياد نفوذ الاشراف وقبل ان يقوى نفوذهم ويشتد طلبوا من الاتراك المساعدة والعون للقضاء على هذا الخصم الجديد . وفي اثناء اعلان الرشيد عن سلطانه وسلطته على فاس كان مرابطون الدلائية يحمون المناطق الواقعة مابين سلا و الملوية العليا وبعد مقتل

العياش ادعوا بانهم اصحاب تلك الاراضي وهكذا ظهرت رواية جديدة على الساحة المغربية .كان الرشيد في نزاع مع ابن اخيه ومرابطي الدلائية فضرب اولا مرابطي الدلائية واستولى على زواياهم والقى القبض على المرابطين

ونقلهم الى فاس ووضعوهم في السجن ومن ثم اتجه الى مراكش المحكومة من قبل كرم الحاج والشعابين وحطم نفوذهم ثم عاد الى فاس . لم يتلق غيلان أي جواب من استانبول وبما ان قواته كانت ضعيفة فقد قام بنهب المنطقة الغربية وحولها الى خراب تام وانسحب الى الجزائر ومن ثم ركب سفينته وباشر العمل بالقرصنة،ظل الرشيد يجادل بالشرق والغرب الى ان تمكن من حكم البلاد ومن بعد ذلك ضمن الهدوء والاستقرار لحكومته ولتخوفه من مرابطب الدلائية جمعهم ونفاهم الى خارج البلاد فالتجؤا بادئ الامر الى الاتراك الى تلمسان،ذهب الرشيد الى مراكش واثناء ركوبه لحصانه قفز مسرعا واصطدم بشجرة برتقال ومات على اثرها في ذي الحجة 1082ه/1672م .

عندما كانت فالس تتعرض لاضطرابات داخلية كان الساحل ايضا يشهد تبدلا في اوضاعه العامة،ففيسنة 1642م انفصل البرتغاليون عن الاسبان وحصلوا على استقلالهم وباشروا العمل على احتلال سبتة ولخسائرهم الفادحة وزيادة تكاليفها تركوها وقام الانكليز سنة 1661باحتلال طنجة وفي سنة 1668م اعطيت سبتة والعرائش للاسبان وفي عام 1684م عمد الانكليز الى تخريب مواقعهم في طنجة وتركوها ليعمد الفاسيون بالاستيلاء عليها،ففي الوقت الذي كانت الجزائر تشهد بروز مرحلة الاغوات كانت جارتها فاس تتعرض الى مرحلة جديدة في اوضاعها الداخلية.

عهد الآغوات:

عندما قدم علي باشا الى الجزائر كانت البلاد تشهد حالة من التورد والعصيان ثم تحولت الى ثورة استمرت عدة ايام عقب مجيئه الى الجزائرسنة 1070ه/1659م،فعقد الانكشاريون اجتماعا في الديوان بحثوا فيه مسالة الضعف ادارة الباشوات وما نجم عنها من ويلات ومصائب بسبب تدخلهم في كل شيءوتخليهم عن المهام الادارية المخصصة لهم،فقرروا القاء القبض على الباشا واتباعه ثم وضعوهم في غاليوطة وارسلوهم الى ازمير فكتب الباشا

عند وصوله ازمير تقرير بالاحداث التي تعرض لها وطلب الاذن من القاضي باعلام استانبول.فغضب الصدر الاعظم كوبرلومحمد باشا من مقلب الجزائريين واتدعى الباشا من ازمير وقتله واسل فرمانا الى الجزائريين ليبايعوا من يريدون لان السلطان ليس بحاجة لعبوديتهم فلديه ممالك كثيرة وارسل فرمانا الى البحالرة يمنعهم من بيعهم السلاح ومنعهم من الذهاب الى الحج وعدم الاقتراب من السواحل العثمانية،ندم الجزائريون كثيرا فارسلوا الوفود لطلب الشفاعة فرفض كوبرلو محمد باشا،وعند وفاته عين ابنه فاضل احمد باشا صدرا اعظم مكانه،فارسل الجزائريون القبطان قره مصطفى باشا بالذهاب الى استنبول محملا بالهدايا،فارسل السلطان القابقجي بوشناق اسماعيل باشا آغا بطوخين امير امراء الجزائر سنة 1072ه1661م.

فقبله الجزائريون ممثلا للسلطان وسلموه ادارة خاصة به وقرروا ان المور الالادارية الفعلية بيد آغاهم وانتخاب آغا الانكشارية كل شهرين لكي لا ينفرد بحكم البلاد لكنه كان امرا مستحيلا ونتيجة لتمرد الانكشاريين واستلامهم زمام الامور انتخب خليل آغا كأول آغا على الجزائر،ولكثرة العصيانات كان نتيجتها قيام حكومة الآغوات،وكان اسماعيل باشا متفرجا على الاحداث التي تمر بها الجزائرالا انه يتآمر سرا مع الدول الاوربية .

انتهت مدة الشهريين لخليل آغا ولعم تركه الحكومة هجم عليه الانكشاريون فقتلوه وعينوا رمضان آغا وفي سنة 1071ه عمل على زيادة الاعمال البحرية وكانت علاقته جيدة بالانكشاريين فمددوا له الحكم.

وكان الدوق دي تورسي وغريماني ورويتر وماركي دي كريكي يتجولون في البحار للحد من اضرار القراصنة كما قام فرسان مالطة بمهاجمة السواحل البربرية وتمكنوا من اسر 500أسير ووضعوهم مجدفين اما كرمت دي فرو اختبا في احدى الخلجان الصغيرة قرب الجزائر وحالما خرجت احدى سفنهم استولى عليها وفي هذه المدة انشا الجزائريون برج(راس الطاغورة)واستحكام مرسى الذباب.

بعد مقتل رمضان باشا قرر الانكشاريون عدم عقد أي معاهدة مع المسيحيين ولوقوف الدول

الاوربية ضدهمففي ربيع 1662م تمكن الدوق دي بوفور منالسيطرة على 20سفينة للقراصنة وبنفس السنة خربت عاصفة ميناء الجزائر وغرقت 9سفن،ونتيجة الضائقة التي تعرض لها الجزائريون قام قائد الاسطول الانكليزي فونتاغو بقصف ميناء بجاية بالمدفعية وخلال 3ايام استولوا على 4سفن وقاموا بملاحقة اسطول الرياس فشاهدوا الاسطول الهولندي امام ميناء الجزائر ففرحوا لاعتقادهم انه سيكمل على من بقي من الاسطول الجزائري لكن رويتر كان يرتبط بمعاهدة ود وصداقة مدتها 8أشهر ويتمكن الاسطول الجزائري من دخول مينائه بسلام بعد القاء التحية المعتادة تاديتها فاندهش الانكليز من ذلك .

وفي 22حزيران سنة 1662م قدم دو كلير فيل تقريرا الى كولبير يحدد فيه بون واستورة والقالو مناطق صالحة لانزال القوات الفرنسية،وفي ربيع 1663م كان الكوميندوربول استولى على20سفينة جزائرية اثناء تجوله واراد انزال عساكره في القالو ولكن احد ضباطه نصحه بعدم ذلك من باب الحيطة والحذرفان زمن العواصف البحرية السيئة اقترب فعاد الى بلاده والتحق ببقية الاسطول،وفي 22من تموزاتجه الفرنسيون الى جيجل لاستطلاع الساحل وفي 23تموز انزل العساكر الى البر وبعد مقاومة عنيفة احتلت المدينة وقام القبليون بشن الهجمات القوية بعديومين ضد الفرنسيين وقام الجزائريون باعداد قوة عسكرية خلال اشهر لكن العصاة ممن ارتبط مع الفرنسيينافسدوا مثل هذه القوة ولم يكتب لها النجاح.

قام الجزائريون باستلطاف القبليين لضمان التعاون معهم على عكس الفرنسيين الذين كانوا في حالة فوضى وكان القادة في خلاف مع بعضهم ففي تشرين الاول اقام الجزائريون ما يلزم من نقاط استحكام وفي الخامس منه باشروا هجومهم على القوات الفرنسية فهدموا متاريسهم،واصبحوا عرضة للنيران كما اصيب الدوق دي بوفوربجروح وكبدوهم خسائر فادحة وفي 29تشرين الاول فتحت المدفعية الجزائرية نيرانها ثانية على الفرنسيين وفي اليوم الثاني لم يبق اثر للمواقع الفرنسية فانسحبت القوات الفرنسية في 31من تشرين الاول وكان اشبه بالفرار لانهم تركوا معداتهم الثقيلة والمدافع،وهكذا انتهى الهجوم الذي

هيأ ته الفرنسيون بكل قوتهم بالذل والهزيمة.وفي 17ايار1666معقدت معاهدة بين فرنسا والجزائر فبذل الانكليز جهودا لافشالها وقدموا 30سفينة حربية لاستخدامها للدفاع عن بلادهم ضد الفرنسيين،وبموجب المعاهدة اعيد للفرنسيين 1126اسيراواسس الباستيون من جديد وعين الجنرال جان ارنو مديرا جيدا للباستون وتم الصلح بين الطرفين وعلى الرغم من ذلك فان اعمال الرياس استمرت كما كانت سابقا لكن الفرنسيين لم يتعرضوا لخسائر تستوجب تقديم الشكاوى ضدهم حتى سنة 1079هـ / 1668م . وفي سنة 1078هـ لم يذهب الرياس الى كريت وفي سنة 1079م تحركت عشر غاليوطات من الجزائر وتونس للالتحاق بالاسطول الهمايوني وفي نفس السنة تعرض احد قباطنة الجزائر لهجوم من تجار البندقية اثناء نقله المهمات والارزاق الى قانديا وكان هؤلاء يحاولون الانتقام من الرياس وكانوا لدى مصادفتهم أي سفينة عائدة لهم يضربونها ويستولون عليها وفي هذه الاثناء كان الرياس قد استولوا على عدة سفن عائدة للتجار فرنسيين وفي 14 من حزيران قدم ماركي دي مارتل الى الجزائر مطالبا بتلك السفن وبحارتها فوافق الديوان على طلبه وسلمه السفن مع بحارتها .وفي سنة 1670م تحرك الفرنسيون والهولنديون والمالطيون والصقليون والانكليز وسفن البابا بسفنهم الى عرض البحر فجاة وقد هدفت تلك الدول من تحركاتها مهاجمة الاتراك في شمال افريقية وتدمير سفن الرياس والقاء القبض عليهم وعندما انزلوا قواتهم الى البر اصيب الاهالي بارباك شديد وعم الخوف فاسرع علي اغا باقمة التحصينات والمتاريس على نهر الحراش . وفي اذار 1671م هاجم الاسطول الانكليزي بقيادة ادوار سبراغة مدينة بجاية واشعل النار ب 12 سفينة كانت قد التجات الى احدى المواقع تجنبا من قصف المدفعية عليها ازاء ذلك قام الجزائريون بمهاجمة القنصلية الانكليزية فنهبوها والقوا القبض على القنصل وجميع العاملين في القنصلية ووضعوهم في السجن .عقب مقتل علي اغا شهدت مدينة الجزائر فوضى واضطرابا في اوضاعها الداخلية فقد هاجم العساكر القلعة الداخلية واستولوا على مافيها من اموال وارزاق وخلال 3 ايام تبدل خمسة او ستة اغوات وغدا الجميع يرفض تسلم منصب الاغوية ووسط هذه الفوضى القائمة قام

الرياس باعلان تمردهم وعصيانهم مستغلين حالة التخبط التي تشهدها المدينة وقد جاء عصيانهم على شكل انقلاب وتقرر اثر ذلك استبدال الاغوات بالدايات مما افسح المجال امام البحارة لتسلم زمام الامور في البلاد فقوي نفوذهم وضعف نفوذ الانكشارية .

تجنب قراصنة الجزائر التعرض للسفن الفرنسية خلال تلك السنوات علما بان الفرنسيين كانوا من اكثر الدول التي اعتدت على الجزائر ز لقد كان الفرنسيون يعتبرون انفسهم من اكثر الدول المسيحية صداقة للدولة العثمانية وكانت الدولة العثمانية تعاملهم معاملة حسنة منطلقة من ان الفرنسيين يكنون لها الصداقة والوفاء .

وفي عهد علي اغا شيد برج سمي برج سردين كذلك فقد انشا مخزنا للذخيرة وانشا برجا سمي برج الانكليز .

الجزء الثاني

الفصل الاول

عصر الدايات

معلومات عامة عن عهد الدايات :

قرر الجزائريون قبول تطبيق نظام الدايات الذي اعطى نتائج جيدة في تونس واشترطوا ان يقضي الداي المنتخب طوال حياته رئيسا للحكومة ويساعده الديوان في عمله وان يبقى امير الامراء من الباشوات ولكن بدون أي عمل . لعب الرياس دورا بارزا في تاسيس حكم الدايات فالدايات الاربعة الاوائل كانوا من افراد البحرية لان البحرية كانت اعلى واقوى من الانكشارية فاخذت الحكم منها لكن ديوان الانكشارية مازال يمارس اجتماعاته كالعادة ولكن بدون صلاحية وسواء اكان الداي من البحرية او الانكشارية فهو مجبر على غض الطرف من القرصنة لان القراصنة مكلفين بقتال الدول المسيحية ولتكن هذه الدولة من تكون يكفي ان تكون مسيحية .وكان من اهم الاسباب التي ادت لضعف الانكشارية وانحلالها جريها وراء

الامتيازات التي حصلت عليها العناصر التي قدمت الى الجزائر سايقا ولذا فقد استمر افرادها يطالبون لدى حدوث أي تغيير او تبديل في الادارة بالمكافات والهدايا وغدا شغلهم الشاغل زيادة معاشاتهم وترقية رواتبهم اضافة الى انصرافهم الى اعداد المؤامرات واحداث الفوضى والاضطرابات بصورة دائمة ومستمرة . ان الداي مجبر على العيش والاقامة في قصر الجينية تحت حماية عناصر الصولافية والشواش لايغيب عن انظارهم لحظة واحدة ومنذ اليوم الاول لانتخاب الداي ينفصل عن عائلته لان دخول النساء الى القصر ممنوع منعا باتا ولايحق للنساء الدخول الى القصر الا في يوم المحكمة وبعد صلاة الظهر يوم الخميس يذهب الداي الى منزله فيلتقي بعائلته ويقضي ليلته في منزله وقبل ظهر يوم الجمعة ياتي المحافظون لاخذه الى صلاة الجمعة في الجامع ومن الجامع ياخذونه الى القصر ومعاشه هو نفس معاش الانكشاريه . سمح دوق توسكانيا ليهود ليفورن بفتح المخازن لشراء الغنائم والاسرى فقدم رئيس طريقة (سان ايتان) شكاوى الى جميع حكام وملوك اوربا ضد دوق توسكانيا لانه سمح لليهود بممارسة مثل هذه التجارة لكن ملوك اوربا لم تصغ لندائه وشكاويه . ان الغنائم التي لاتباع في الدول الاسلامية اولا يوجد من يشتريها كان اليهود ياخذونها ويبيعونها في البلاد المسيحية ويحققون من ورائها ارباحا طائلة ونتيجة للمارستهم الاعمال التجارية قويت صلاتهم بالدول المسيحية وخاصة بعد عملهم كوسطاء بين الطرفين .وهكذا بدا نفوذ اليهود يقوى ويزداد قد لعبوا دور الوسيط بين الجزائر والدول الاوربية واقاموا المقاولات والاتفاقيات التجارية التي تناسبهم دون الرجوع الى الداي واذا دعت الحاجة كانوا يهددون الدول الاوربية التي لاتلبي رغباتهم باعلان الحرب ايضا وفي القرن الثامن عشر تعاظم نفوذهم كثيرا حتى غدا بكري وبوشناق لايتركان الداي يتحدث مع القناصل على انفرادواصبحا يتدخلان في شؤون الداي الخاصة ويعزلان ويعينان الامراء في الصناجق ويحددان اسعار المواد التجارية ويرتبان ويخططان اعمال القرصنة فاصبح بشكل واضح كانهم حكام الجزائر الحقيقين وقد تضايقت العناصر الاخرى سواء المحلية او الاجنبية لانهم وجدوا انفسهم تابعين وخاضعين لقانون مشؤوم فاتخذوا لانفسهم موقفا جبارا وظالما

وعم الحقد جميع الناس واخيرا اسفر الموقف المتشدد للجميع عن قطع رؤوس عدد من اليهود . كانت انكلترا من اولى الدول التي وضعت اصول هذه الهدايا وقد امطرت الداي بوابل من الهدايا الثمينة من اجل الحصول على اقامة مراكز تجارية لها في المناطق الساحلية بقصد منافسة التجارة الفرنسية وبعد ذلك اصبحت الهدايا عادة متبعة واستمرت حتى سنة 1816م ومع اوائل القرن الثامن عشر سقط اوجاق الجزائر لان القوات الانكشارية بدات تضعف يوما عن يوم ويقول بردان في سنة 1634م كان تعداد الجيش الانكشاري 22 الف جندي وفي سنة 1769م انخفض الى 5000 جندي واصبح سنة 1817 م 3200 جندي منهم حوالي الف جندي من المعلولين والشيوخ . لقد اصبح الميناء فارغا بعدما كان يحتوي على 80 سفينة سنة 1620م يقودها 300 ريس اثناء موسم القرصنة ويقول لوغيه ديتاسن : في سنة 1725م كان في ميناء الجزائر 24 سفينة تحتوي كل واحدة من 10-52 مدفعا وبعض اربع وعشرين سنة انفض عددهم الى 17 سفينة فقط تحتوي الواحدة من 3-26 مدفعا وهذه السفن 9 سفن منها للحكومة و8 سفن ملك شخصي لبعض الافراد واصبح السوق المغطى مهجورا ولم يعد يسمع صوت الدلالين الذين كانوا يبيعون الغنائم والاسرى وفي السابق كانت مدينة ذات عز وبهاء ونشاط وحيوية فقد كان ذهب المسيحين يتدفق عليها بكميات لاتحصى والان اصبحت خزينة كثيبة وهجرتها البهجة وعمتها الكابة .ان القوافل التي كانت مهووسة بالربح السهل والسريع التي كانت تحمل الحلى والذوق اضاعت طريقها وتحطم حلمها ,

-2عهد الدايات

في سنة 1082هـ /1671م تم انتخاب اول داي في الجزائر وهوحجي محمد وكان حجي محمد رجلا مسنا قدم الى الجزائر بشكل اعتيادي وكان اثناء ذلك لا يزال شابا ثم تطوع في الانكشارية وتدرج الى ان وصل الى رتبة داي عمل كداي مدة 11سنة لكن صهره بابا حسن كان يدير معظم اعماله .وكان بابا حسن صعبا وظالما وخبيثا وله صفات وطباع سيئة جدا ولم يرتبط الداي العجوز مع فرنسا باي علاقات حسنة لان صهره افسد عليه اقامة أي علاقات معها لانه استولى على سفينتين جميلتين لكل من الدوق بوفور والكومندور بول ورفض

اعادتهما رفضا قاطعا ولم يحاول الداي ازعاج صهره فرضخ لرغبته .كان الاسرى لدى قدوم اسطول اجنبي يختبئون نهارا وحالما يحل الظلام يخاطرون بارواحهم بغية الوصول الى السفن وكانت هذه السفن تستقبل الهاربين ولا تسلمهم ابدا كلف الداي القنصل الفرنسي باحضار الاسرى الاتراك وتوجه القنصل الى سفن الاسطول وحالما وصل فتح الاسطول اشرعته وغادر الجزائر الى بلاده وقد ادرك حجي محمد ان هذا الرحيل لايشير بالخير وهو علامة من علائم اعلان الحرب . تمكن بير لوفاشي من انقاذ احد الاسرى الفرنسيين ولدى عودته الى بلاده حمله الداي رسالة الى الملك لويس الرابع عشر وقد عبر الداي في رسالته عن اهتمامه باستمرار الصلح بين الدولتين وطلب منه الاسراع بارسال الاسرى الاتراك كتاكيد على نية الملك الفرنسي بدوام الصلح ورجاه بشان تعيين دي بورديو قنصلا بدلا من القنصل الحالي وحالما علم القنصل افريوكس بانه سيطرد من الديوان غادر البلاد في 30 نيسان سنة 1675م وكان في وداعه اسماعيل باشا وعاد من جديد بيرلوفاش لاستلام وظيفته كقنصل . بدا الاسطول الاسباني يتجول في البحار بقيادة ماغلانيز لكنه لم يتمكن من منع الرياس من مهاجمة المناطق المجاورة لليزبون خلال سنتي 1675م و1676م فانسحب عائدا الى بلاده . اطلق الجزائريون سراح الاسرى الفرنسيين والبالغ عددهم 24اسيرا بعدما تعهد القنصل بيرلوفاشي باعادة الاسرى الاتراك بنفسه الا ان الفرنسيين لم يلتزموا وارسلوا بدلا عنهم عددا من الاندلسيين العميان والمعلولين وفعلا كان الديوان محقا في غضبه واعتذر القنصل الفرنسي عما حدث وحاول جاهدا تهدئة الغضب الذي عم الجزائر واعلن امام الجميع بان الملك خدعه وانه لايزال على وعده باعادة الاسرى الاتراك وفي تلك الاثناء ظهرت مشكلة اخرى وهي ان عددا من الاسرى الاتراك الموجودين في الغاليات الاسبانية تمكنوا من الهرب بواسطة زورق صغير فالقى الفرنسيون القبض عليهم ووضعوهم على سفنهم كمجدفين وقد حاول القنصل اقناع المجلس الملكي الفرنسي بخطورة العمل الفرنسي ولكن القصر الفرنسي قال لبير لوفاشي : اقمة معاهدة مع هؤلاء اللصوص لاتليق بملك فرنسا) فطلب بيرلوفاشي اعفاءه من منصبه وظل فترة ينتظر

بديله ولكن بدون فائدة . وفي سنة 1679م امر حاكم فاس مولاي اسماعيل جيشه بالتوجه الى المرتفعات الجنوبية ووصل بقواته الى مرتفعات الشليف وهناك اصطدم مع قوة تركية صغيرة ولم يتمكن جيشه المؤلف من العرب الصمود امام الابطال الاتراك الذين شكلوا جيشا نظاميا بقوتهم وتنظيمهم فهرب جيشه بكامله فاضطر حاكم فاس الى عقد الصلح وظل الوضع قائما على ماهو عليه وقفل عائدا الى بلاده . وفي 11 من ايلول من سنة 1680م 1091م جاء دوغوسنة الى الجزائر وقابل الداي وقدم له الشكاوى فاجابه الداي لا جواب قبل اعادة الاسرى الاتراك الموجودين في مرسيليا فعاد الى بلاده يحمل جواب الجزائرين . وفي 18من تشرين الاول سنة 1681م 1092هـ قرر الديوان اعلان الحرب على فرنسا وكان قراصنة الجزائر قبل قطع العلاقات مع فرنسا بشهر واحد قد استولوا على 29 سفينة واسروا منهم 300شخص كما انهم استولوا خلال 4 سنوات الماضية على 350 سفينة انكليزية واسروا منهم 6000بحار . اغتنم الانكليز فرصة قيام الحرب بين الجزائر وفرنسا وابرموا مع الجزائر معاهدة وصفها احد الفرنسيين قائلا : (ان هذه المعاهدة اظهرت الجزائر بانها سيدة البحار وان بريطانيا لم تحصل على اسير انكليزي واحد وفوق هذا كله فقد خولت المعاهدة الجزائريين حق مراقبة السفن الانكليزية) وفي 12من تموز سنة 1682م 1093هـ تحرك دوغوسنه باسطوله ووصل شرشال في 25 من تموز وفور وصوله قصف المدينة بمدفعيته وهدم الفنار الساحلي واحرق سفينتين وفي 29 من تموز كان امام مدينة الجزائر باسطوله المؤلف من 15 غالية كبيرة و11 سفينة حربية وسفينتين للحريق وخمس قاليونات تفجير . شدد بابا حسن الحراسة على المدينة وكان يقطع راس كل من يحاول التسلل اليها وفي 16 ايلول ساءت الاحوال الجوية فرحل دوكين بعدما هدم اكثر من 50 منزلا واستشهد من الاهالي حوالي 400 شخص . لقد صنعت فرنسا بعملها مدالية في هذا الواقعة واعتبرت حقدها انتصارا لها وبعد عودة دوكين الى فرنسا قام بتعديل القاليونات والمدافع لان قذائف مدافعه كانت تنفجر قبل بلوغها الهدف بوقت كما ان فوهات بعض المدافع قد انفجرت وغدت مشلولة عن العمل ولهذا السبب رجع الى بلاده وبعد ان جمع ذخيرته ونظم اسطوله بشكل جيد قرر القيام بحرب اخرى في سنة 1683م .

-3عهد الدايات

مع بداية سنة 1683م 1095هـ بدا الوباء بالانتشار بالجزائر واعقبه مباشرة قحط شديد فارتفعت الاسعار 300 ضعف فاشترى الهولنديون اسراهم بمبلغ / 53000/ ايكو وفي 6 من ايار سنة 1683م تحرك دوكين من طولون باسطول مؤلف من 20 سفينة حربية و7 غاليوطات وسفينتين حريق و 30 سفينة من نوع فلوت اضافة الى 16 سفينة ستلحق ايضا ولدى خروجه من الميناء تعرض لعاصفة بحرية شديدة ابتلعت عددا من الزوارق وتعرضت بعض سفنه الى اضرار كبيرة وقد استغرقت السفن المصابة بالاضرار زمنا طويلا ولم يصل الاسطول الى مياه الجزائر حتى 18 من حزيران وفي 23 من حزيران بدا الاميرال بالقصف المفاجىء واستمر القصف بصورة متواصلة مدة 27 يوما ورد الجزائريين على القصف الفرنسي لكن الفرنسيين استمروا بقصفهم لان الجزائريين لم يحسنوا عملية القصف . وكان الاميرال الفرنسي قد اشترط لدخول في مباحثاته ارسال عدد من الرياس كرهائن فاستجاب الداي وارسل عددا من الرياس ومن بينهم الريس موز مورتو حسين وقد ارسله الداي خوفا من ان يتسبب في قيام ثورة في الجزائر وبهذه الوسيلة يتخلص منه . استمرت المباحثات بين الطرفين مدة 15 يوما وكان بابا حسن راضيا عن كل شيء وقبل بجميع الشروط التي فرضها دوكين بما فيها تقديم الجزائر مبلغ مليون ونصف فرنك كغرامة وتعويض عن الخسائر التي تعرضت لها فرنسا ولكن هذا الشرط كان مستحيل التنفيذ لانه من الغير الممكن ان تقدر الجزائر بكاملها على جمع هذا المبلغ فازدادت المشكلة تعقيدا . انقسمت المدينة الى قسمين : الاهالي والانكشاريون من انصار الصلح اما الرياس فكانوا من انصار الحرب . بلغت تكاليف الحملة الفرنسية التي قادها دوكين خلال سنتي 1682م و1683م اكثر من 25مليون فرنك فرنسيا وكانت خسائر الجزائريين تهديم مئة منزل وجامعين واحراق ثلاث سفن واستشهاد 1000شخص . كان الملك الفرنسي قد امر دوكين بانزال الجنود على البر الجزائري بعد عملية القصف وذلك لاستغلال حالة الفوضى والاضطراب التي تصيب الاهالي عقب القصف الشديد وكان الغرض من انزال الجنود

الفرنسيين تدمير منارة الميناء والفنار (مكسر الامواج) واشعال النار بالميناء واحراق المنازل وتدميرها وتحويلها الى انقاض لحرمان السكان من الاستفادة منها نهائيا لكن الدوكين لم يلتزم بعمليات مليكه وفي الواقع فقد نجم عن عدم تنفيذ تعليمات الملك خسائر اكثر بكثير مماخطط الملك الفرنسي لقائده علاوة على ذلك فان هيجان الاهالي وانفعالهم تسبب في خلق مشاكل كثيرة تسببت هي الاخرى في زيادة الخسائر . وفي ربيع سنة 1685م ارسل الداي هيئة اخرى الى باريس لتقديم الشكر الى الملك الفرنسي على اعادته الاسرى وقد قدمت الهيئة الى الملك 10 خيول اصيلة كهدية له . وفي 23 من ايار عاد دي توفيل من جديد الى الجزائر واثناء عودته اصطحب معه 45 اسيرا جمعوا من المناطق الداخلية من الجزائر . وفي سنة 1684م اعلنت انكلترا وهولندا الحرب على الجزائر بحجة انهما يلاقيان معاملة قاسية من الديوان وكانت هاتان الدولتان تحرضان الجزائر على عدم اجراء أي تفاهم او اتفاق مع فرنسا فرد الرياس عليهما وبداوا بمهاجمة سفنهما مهاجمه عنيفة كذلك فقد هاجم الرياس ايضا السواحل الايطالية والاسبانية وحصلوا على غنائم لا حصر لها . وفي سنة 1687م / 1099هاعتلى سليمان الثاني عرش العثمانية وفور استلامه دعا المجاهدين في الجزائر للاشتراك بالحرب ضد الذين يلحقون الاضرار بالمسلمين في شبه جزيرة مورة . الى امير امراء جزائر الغرب اسماعيل دام اقباله والى جميع ضباط الاوجاق والى الاحتياطين فيه حكم .بموجب الفتوى الشريفة نامر جزائر الغرب الالتحاق بالاسطول العثماني الهمايوني ونامل الاتخفف كثرة المصاريف من اشتياقهم للجهاد ففي هذه المره سيكون الجهاد لوجه الله تعالى وسنكون بالاسطول الهمايوني من اجل الخروج سوية ان شاء الله تخرجون عندما يصل المبعوث القادم من الترسانة العامرة وتحصلون على رضاء الله تعالى ورضاء رسول عليه الصلاة والسلام وتقومون بتادية الخدمة الدينية اوائل ربيع الاول سنة 1100هـ ز ولقد كانت نسخة هذا الفرمان الى امير امراء طرابلس الغرب وداي تونس وفي سنة 1683م اصبح حسين بك دايا وفي سنة 1684م اصبح امير امراء الجزائر . لم يضع الجزائريون وقتهم بالرد على الترتيبات الفرنسية فقبضوا على القنصل الفرنسي وحكموا عليه بالاشغال لاالشاقة في مقلع الحجارة وباعوا حمولة 11 سفينة فرنسية

كانت راسية في الميناء مع بحارتها ولم يجد تدخل مدير الباستيون نفعا . اعترف الفرنسيون بان سبب هذه الاعمال التي تحدث باستمرار هي الهدايا التي قدمها اعداؤهم وكان قائد الاسطول الفرنسي ديستري يقوم بتجهيز الاسطول وكان تحرشه بالجزائريين بناء على نصيحة مسبقة . وفي 1 تموز بدا الماريشال ديستري بالقصف حتى 16 تموز وقد اطلقت سفن العدو خلال ذلك حوال 10420 طلقة (قذيفة) واسفر عنها اغراق 5 سفن بالميناء وهدم استحكام ماتيفو واصيب بعض الجوامع والمنازل باضرار كبيرة كما تهدمت الترسانة والفنار ورصيف الميناء واصيب موزمورتو بجرحين ولم يتاثر الاهالي بالقصف لانهم خرجوا من المدينة وكان الباشا قد سجن القنصل القسيس و25 بحارا فرنسيا وبما ان الاسطول قام بقصف المدينة فقد التزم موزمورتو بوعده فربط هؤلاء الاسرى بفوهات المدفعية ثم قذف بهم ورد عليه ديستري بنفس الشيء وقذف الاسرى الاتراك بفوهات مدفعيته وكانت الاجراءات المتخذه من قبل الاسطول الفرنسي يقصد فيها تلقين الجزائر درسا قاسيا ولكن الماريشال اضطر مؤخرا على الرحيل دون ان يحقق من تصرفه أي نتيجة تذكر لان موزمورتو لم يحاول تقديم أي طرح بانه لايرغب بالاتفاق والصلح بل العكس من ذلك فقد كان يرد على كل قذيفة بقذيفة وكان دوما تحت القصف يقوي ويزيد من حماس وشجاعة المقاتلين . وفي بداية شهر ايلول جاء مساعد البحرية الفرنسية مارسيل الى الجزائر وعدل بعض البنود التي ليس لها اهمية على المعاهدة القديمة ووقعت المعاهدة في 25 ايلول سنة 1689م / 1101هـ وارسل الداي مبعوثه محمد امين خوجه الى فرنسا لاحضر النسخة المصدقة من قبل المجلس الملكي الفرنسي . فر ابراهيم خوجه الى المدينة سوسة بتونس سنة 1689م/1101هـ بسبب الخلاف الشديد الذي نشب بين الداي والانكشارية وبعدها بمدة قصيرة كلف المفارز بجمع الضرائب وبعد عودتها وقبل دخولها المدينة اجتمعت في مقر قيادة الجيش معلنة تمردها وعصيانها وبدات تهتف قائلة نريد راس حسين باشا . اذا كان موزمورتو حين قد حاول مع انصاره التصدي للمتمردين لكنه ادرك عدم مقدرته فانسحب الى تونس ومنها توجه الى استانبول . بعد رحيل موزمورتو انتخب

المتمردون شعبان اغا دايا عليهم وعلمت استانبول بانهم لم يتخاصموا مع حسين باشا . لم تكن اساطيل اوجاقات الغرب تعطى نقودا مقابل مشاركتها الاسطول العثماني وقد جرت هذه العادة حديثا ولهذا لافان الديوان الهمايوني قدم لهم بعد اشتراكهم وعودتهم الى بلادهم 7000 قطعة ذهبية لكل من اوجاق تونس وطرابلس الغرب و 30 الف قطعة ذهبية لاوجاق الجزائر وارسل خلعا فخرية للرياس . وبناء على هذه الحقيقة التي ادركها الفرنسيون مؤخرا اصدرت وزارة الخارجية تعليماتها الى قنصلها في الجزائر طالبة منه تحسين العلاقات واحلال الصلح وعليه عدم الطالبة باي مساعدات بل عليه الاعتماد على نفوذه وقوة الشخصية فقط . ورد فرمان الى اوجاقات الجزائر وتونس وطرابلس الغرب بتاريخ جمادى الاول سنة 1103همن اجل الاشتراك باساطيلهم مع الاسطول العثماني بقيادة قبطان داريا يوسف باشا وكان الديوان الهمايوني قد ارسل مع الفرمان الخلع الى كل امير امراء وداي واغا الانكشارية وكبار الشخصيات في الاوجاق . غادر كبير البوابين عثمان استانبول حاملا الفرمان الشريف الى احدى اوجاقات الغرب ووصل عثمان الى تونس وبعد تبليغهم نص الفرمان واخذ الضرائب المستحقة منها توجه الى الجزائر وفي الطريق هاجمتها سفن نابولي واستولوا على سفينته وبعد اسره نقل على متن احدى السفن الى احدى مدنهم ولهذا لم يطلع الجزائريون على الفرمان . وفي اواسط جمادى الاول سنة 1106 هـ كتب فرمان جيد يخاطب امير امراء الجزائر وتونس وبعد ان اكدت الشائعات ان تونس سبب الفتنة وتاكد الديوان من صحة ماقيل استدعى امير امراء تونس محمد الى استانبول ووجه فرمان الى الجزائر حول ذلك ويامرهم بضبط النفس والالتزام بالهدوء وانه تم القبض على على المخالفين المسببين للفتنة ولم نجد أي فرمان واضح يدل على اثبات خطا رمضان باشا ومحمد بك ومن المحتمل ان يكون الجزائريون هم الذين دبروا ذلك .

-4احداث فارس منذ سنة 1672م وحتى 1727 م

بعد وفاة مولاي الرشيد حاكم فاس سنة 1082هـ خلفه مولاي اسماعيل عمل مولاي اسماعيل على تاسيس الحكومة وتقويتها . عندما اعلن مولاي اسماعيل نفسه ملكا على فاس عين المركشيون ابن اخيه احمد بن محرز بن الشريف حاكما على مراكش فهاجم مولاي

اسماعيل مراكش واحتلها واعلن حاكميته عليها وبينما مولاي اسماعيل يفكر باخضاع كل المناطق لسلطته علم بحدوث تمرد في شمال فاس سنة 1083هـ 1672م فرجع عائدا الى فاس وقضى على التمرد في شهر رجب في نفس العام . في فصول سابقة تحدثنا عن غيلان الذي جاء بالسفن الجزائرية الى تطوان وتمكن من السيطرة على المنطقة الغربية وبدا يهدد فا سالا ان الجيش الذي ارسله مولاي اسماعيل تمكن من قتل غيلان وانصاره . ردا على تحركات مولاي اسماعيل في المناطق التي يحكمها الاتراك قام الجزائريون بمساعدة المطالبين بالحكم ببعض التحركات فقد ارسلوا قطاع الطرق الى تلك المناطق كما نجح احمد بن عبدالله الدلائي بتحريض البربر على التمرد ضمن مناطق مراكش وتمكنوا من الحاق الهزيمة بالجيشين اللذين ارسلهما مولاي اسماعيل وكان تعدادهما 3000 جندي . بعد فشل مولاي اسماعيل بتطبيق سياسة القوة جمع كافة الدلائين الموجودين في مراكش واسند لكل فرد منهم منصبا مهما وبهذه الوسيلة تمكن من اسكانهم والقضاء على محاولات الخداع والدسائس التي كانت تحاك ضدهم .اقام مولاي اسماعيل في المناطق القريبة والمجاورة لحدود الجزائر وقلاعها واستحكاماتها فبنى هناك ووسط كل قبيلة قلاع ضخمة وزود كل منها ب 100 عسكري من العبيد ثم اصلح استحكامات تازه ووضع فيها حوالي 2500 جندي وكانت الوظيفة الاساسية لتلك القلاع مراقبة تحركات المشاغبين وكقواعد اساسية له ونقاط دفاعية ضد أي هجمات خارجية تشن فجاة على مناطقة

في حين كانت ظاهريا اظهار لقوته ومقدرته على حفظ الامن والاستقرار على كافة المناطق التابعة لسلطانه . ظهر في مناطق المغرب بعض المدعين بالحكم امثال العياش من المرابطين فلجا مولاي اسماعيل الى ادخال هؤلاء بجيشه كي يستغلهم لصالحه كما وضع الى جانبه قائدا ومعه 100 جندي من العبيد وبهذه الطريقة ضمن اسكانهم ووطد سلطانه وضمن الامن والاستقرار لبلاده . فك مولاي اساعيل الحصار عن تلمسان واتجه الى السوس عن طريق مراكش للقضاء على احمد بن محرز مستغل فرصة انشغال الاتراك بالتصدي للفرنسيين لكن ابن اخيه حاربه محاربة عجيبة واضطر الطرفان لايقاف القتال بمناسبة

حلول شهر رمضان . استفاد مولاي اسماعيل من هذه الهدنة فاعلن ترقيته الى مرتبة مولاي العالية فجمع من القبائل خيولها وسلاحها كما اغلق الاستحكامات القائمة على الطريق الشرقي المؤدية الى مراكش ووضع فيها المحافظين وجعل مراكش محصنة تحصينا جيدا خاصة من الجهة الشرقية وفي هذه الاثناء رحل الانكليز عن طنجه وقتل احمد بم محرزفي السوس فحل مكانه (حران) لكنه قتل هو الاخر في جمادى الاول سنة 1098هـ1689م فعم البلاد الامن والسكون . عاد الجيش الجزائري محملا بالغنائم الكثيرة واثناء عودته عاقب كافة القبائل التي التحقت بمولاي اسماعيل معاقبة شديدة . ارسل مولاي اسماعيل الى الجزائر هيئة تتالف من ابنه عبدالملك والمرابطي طيب بن محمد الفاسي لاصلاح ذات البين وقد رحب الجزائريون بهم وعقدوا الصلح معهم ولكن القبائل الداخلية اعلنت تمردها لان مولاي اسماعيل فشل في هزم الجزائر وبعد صراع طويل معهم تمكن من اخضاعهم وتوطيد الامن والاستقرار في تلك المناطق لكن خسارته امام الاتراك تركت لديه اسى وحزنا عميقا ولكي يغسل عاره قرر مهاجمة الجزائر من جديد بالرغم من عقد الصلح معها ففي 9 من ربيع الاول سنة1106هالموافق 29 من تشرين الاول سنة 1694م ارسل ابنه زيدان على راس جيش ضخم لمحاربة الاتراك والهجوم على الاراضي الجزائرية ولكن كل مافعله ابنه هاجم بعض القبائل القاطنة على الحدود وعاد الى بلاده مسرعا وخلال هذه الاحداث وصلت من استانبول هيئة تتالف من 10 اشخاص فاستقبلها مولاي اسماعيل استقبالا عظيما وقد طلبت الهيئة منه اقامة الصلح مع الجزائر وتعهد مولاي اسماعيل بتلبية رغباتها وارسلها معززة مكرمة مع هدايا وتحف ثمينة . تاثر مولاي اسماعيل من الحادثة تاثرا عظيما فطتب رسالة اخرى وقبل ارسالها طلب الشخص المكلف بايصالها للسلطان الى مجلسه وتناقش معه وافهمه ان الشرع الشريف يحرم قتل المذنب قبل سؤاله وان هذا التصرف يولد الخلاف بين الحكام ويجعلهم يسغيبون بعضهم البعض وبعد ذلك امر الشخص المكلف بالتوجه فورا الى استانبول . بعد وفاة مولاي اسماعيل ازداد نفوذ المرابطين والموالين للجزائر هذا التبدل ساهم في اذكاء روح التمرد والعصيان في كل من تطوان وسلا وطنجة بشكل خاص وكانت المدن المذكورة تقيم علاقات تجارية مع القراصنة ومع الاجانب بغية تامين عيشها وقد حققوا من

جرائها ارباحا طائلة وخاصة من بيع البارود والسلاح للجزائريين كماتم في موانىء هذه المدن بيع وشراء الغنائم الاسرى التي لايمكن للجزائريين بيعها في موانىء الجزائر واعتبارا من سنة 1704م بدات انكلترا تساهم في تحسين العلاقات مابين موانىء تلك المدن وقراصنة الجزائر وذلك تحديا لفرنسا لان فرنسا كانت من اكثر الدول التي تدرك الغنائم والاباح التي حصل عليها القراصنة وبصورة خاصة قراصنة الجزائر فقد كانو يشترون مايخصهم من ميناء الجزائر وبما انه اصبح لدى قراصنة الجزائر امكنة اخرى غير مينائهم فقد غدا بامكانهم بيع مايحلو لهم وخاصة الغنائم التي يغنمونها من الفرنسيين واصبحت فاس سوقا رئيسيا لبيع الغنائم وخاصة غنائم الفرنسيين كذلك فان قراصنة فاس اثناء تجولهم في البحر المتوسط كانوا يلجاون الى ميناء الجزائر للاستراحة او عندما يتعرضون لموقف حرج وخلال استراحتهم ياخذون معهم الغنائم العائدة للفرنسيين كما ان قراصنة الجزائر كانوا يهاجمون السفن الفرنسية رافعين علم سلا ومن هنا جاء اهتمام الجزائرين والانجليز باستقلال تطوان

-5 الداي شعبان

من الغزو فاصادر الداي امواله لانه كشف الخطة التي كان يعدها قره مصطفى ضده واتفق الفاسيون الذين كانوا يخسرون باستمرار ا امام الجزائرين مع التونسيين للهجوم على الجزائر ولعدم تحركهما معا ولهذا قررت الجزائر مهاجمة تونس اولا ومن ثم تتجه لمهاجمة فاس وقد نتج الحاق خسائر فادحة للتونسيين والفاسيين بالرغم من التضحيات والهدايا الكثيرة التي كانت هولاندا تقدمها للجزائر فقد اعلنت الجزائر الحرب عليها اما بالنسبة للسفن الانكليزية فلم يعترف القراصنة بوثائق السفر الموقعه من قبل جان الثاني وكانوا يلقون القبض على السفن التي تحمل تلك الوثائق . لم تكن الغرفة التجارية في مارسيليا راضية عن هذا العمل لانها تسعى الى تحقيق اهداف اكبر مماتفكره الحكومة ونتج عن ذلك معادادت اليهود للقناصل الفرنسية وخاصة لليهود الذين يتمتعون بنفوذ قوي واما نفوذهم يزداد يوما بعد يوم اضافة الى ذلك ان الداي بابا حسن كان يتحرك بتوجيه من

اليهود المخبر(بوبيوباز) منذ سنة 1680م واصبح هذا اليهودي في عهد
موزمورتو حسين جاسوسا سريا له كما ان الداي شعبان اسند لاحد اقرباء هذا اليهودي حق للمارسة تجارة الشمع والعسل والجلود عاد الى تونس اميرها محمد بيك بعد هروبه الى جزيرة سقيز اثناء هجوم الجزائرين على تونس وطرد محمد شقير واستلم مكانه كامير على تونس فقدم الهدايا وكسب ود محافظين قسنطينة ولكن شعبان باشا غضب لان جميع جهوده ذهبت سدى فاستعد لتنظيم حملة اخرى ضد باي تونس لكن الضباط كرهوا الحرب المتواصلة على مدار ثلاث سنوات واصبح جيش الشرق يفكر بالثورة على الداي وحالما رجع الجيش من قسنطينة في 5 اب الى الجزائر هتف مطالبا براس الداي فالقى المتمردون القبض على شعبان ورموه بالسجن وعذبوه مدة 6 ايام بقصد اخبارهم عن مكان الخزينة وحينما لم يخبرهم قتلوه في 11 اب سنة 1695م وعينوا الاسكافي الحجي احمد داي على البلاد وفي المرحل الاخيره من حكم شعبان باشا كان امير امراء موسى باشا في هذه الاثناء اتفق الانجليز والاسبان معا واقاموا صلحا على الجزائر وبعد ذلك مباشرة حاولا اشعال النار بين الجزائر وفرنسا فقدموا لداي حصانين كما قدم له احد حكام غرناطة خاتما من الالماس ونفس الوقت قدموا له سرا 40الف قرش كما دفعوا للديوان مايترتب عليهم لمدة 7 سنوات وفوقها 40الف قرش ايضا وهذه النقود مساعدات سنوية وبهذه الوسيلة اصبح الداي من انصار رجال المال ولم يقف القنصل الفرنسي مكتوف الايدي فلقد ايقظ لدى الجزائرين شعور الحقد الذي يكنه لهم الاسبان وتمكن بهذه الوسيله من افشال الاسبان في تحقيق هدفهم وغايتهم وخلال هذه الفترة كلف الداي البلوكباشي سليمان بتقديم 10 خيول لنقلها الى الملك الفرنسي كهدية اثناء قدوم الاميرال امفرفيله لزيارة الجزائر ز وفي سنة1109هـ طلب من اسطول الجزائر الالتحاق من الاسطول العثماني وارسل الى امير امراء الجزائر موسى باشا والداي احمد واميري تونس وطرابلس الغرب حلالا من استانبول وانتشر الوباء في الجزائر اثناء حكم الداي حجي احمد وقتل اكثر من 25 الف شخص وقد استمر يفتك بالجزائر مد 4 سنوات فمات معظم الاسرى المسيحين في حين ظل الرياس يهاجمون السواحل الايطاليه والسقليه وياسرون كل من يقع بايديهم من الاهالي وعلى الرغم من اسر

هذه الاعداد الا انه لم يكن في الجزائر سنة 1705م اكثر من 3000 اسير بعد وفاة الحجي احمد عين الشاويش حسن وحصل على لقب حسن باشا الذي تولى ادارة البلاد من سنة 1698م الى سنة 1700م وقد ظل خلال ذلك صديقا وفيا للفرنسيين بالرغم من كثرة الهدايا التي قدمتها بريطانيا وهولاندا وقد داب حسن باشا على زيادة فعالة القرصنة لكنه منع الرياس من مهاجمة السفن الفرنسية ومعاقبة الفاعل يقسوة شديدة . بعد عودة الجيش الجزائري بفترة قصيرة قام مصطفى باشا بتجهيزه ثانية واتجه به لمحاربة الفاسيين ولم يعد الى الجزائر الا بعد ان الحق بمولاي اسماعيل هزيمه شنعاء وحصل على غنائم كثيرة . ادرك القنصل الفرنسي دوران ان الفرصة مناسبة جدا لتقديم السلاح الجديد الذي ارسلته حكومته للداي تقديرا له على موقفه الجيدة والحسنة تجاه فرنسا وبالمقابل قدم له الداي احصنة واسلحة كان قد غنمها من مولاي اسماعيل وطلب منه تقديمها للملك الفرنسي اعترافا بجميل صنعه . قبل ابراهيم بك الذي تولى حكم تونس بعد مقتل مراد بك اعلان تبعيته للجزائر مع دفع الضريبة المفروضة ولكن الانكشاريين اعلنوا تمردهم لدى محاولة محمد شقير صديق الداي شعبان اعترف الديوان التونسي بحقوقه وذلك خشية القيام بغزو جديد لتونس ورفضوا أي محاولة تسبب في نشوء قتال مع تونس في الوقت الحالي . استمر الداي مصطفى في حصاره لمدينة تونس وفي 6 من تشرين الاول سنة 11705م/ 1117 ه اصبح مجبرا على فك الحصار والرحيل واثناء عودته بدا التونسيون وسكان القبائل بمهاجمة مؤخرة جيشه وبغية التخلص منهم وقرر مهاجمتهم ولكنه في هذه المره تعرض لخسائر كبيرة وفقد اكثر من 500شخص ووصل الداي مصطفى الى مدينة الجزائر في حين كان نصف جيشه لايزال في الطريق . عزل الداي حسن خوجه في 4 من اذار 1707م / 1119ه دون اراقة دماء وحدوث أي فوضى واضطراب داخل المدينة وعين مكانه محمد بكطاش والمشار اليه فاتهم قبل سنة بتدبيير مؤامرة لقتل الداي مع اربعة من اصدقائه فنفاهم الداي الى خارج البلاد لكن انصاره مع اصدقائه القدامى ظلوا يدبرون الحيل والدسائس الى ان تمكنوا من عزل الداي وسلموا صديقهم محمد بكطاش منصب الداي . اخذ حسن خوجه

حفيدة واموالە وخزائنه معه ثم ركب سفينته ورحل لكن السفينة اصطدمت بالساحل بسبب هبوب عاصفة قوية فوقع بجوار دلس فانقذه القبليون واعتنوا به عناية فائقة ومن ثم نقلوه الى كوكو لكنه مات بعد زمن قصير نتيجة لاصابته بمرض خبيث .

الفصل الثاني

فترة الازدواجية

عهد الباشوات – عهد الدايات

في 4 من اذار سنة 1707م/ 1119هـ تسلم الداي محمد بكطاش مقاليد الحكم في الجزائر وكان امير الامراء مجهولا في ذاك التاريخ ففي سنة 1109هـ كان امير الامراء موسى باشا وفي سنة 1113هـكان علي باشا . ومهما كان الامر فانني لم اعثر على أي قيد بحق من جاءوا ورحلوا بعد هزيمة الاسبان امام الاسوار مستغانم قبلوا البقاء ضمن جدران القلعة واقلعوا عن فكرة التوسع ضمن البلاد ومنذ ذلك التاريخ والقلعة في حصار دائم كذلك فان الاهالي شددوا الخناق على الاسبان وبدت وهران والمرسى الكبير ومليلة وسبتة وكانهم في حصار دائم من قبل الجزائريين والفاسيين حتى ان حامية بلدة مازونةمركز الصنجق الغربي غدت تعيش على مايصلها من الاسبان واذا كانوايعتمدون على نهب الاطراف وبيع الشوادر لسكان المناطق المجاورة من اجل تامين احتياجاتهم فهذا الشيء غير مضمون وهو يخضع لظوف عدة وقد تعرض المحليون للعقوبة من قبل جيرانهم لانهم يتعاونونمع المسيحيين ويبيعون ارزاقهم لهم . بعدما قتل قائد الحامية ومامعه من افراد قام الجزائريون من احتلال استحكام سان فيليب ومن ثم اتجهوا الى استحكام سان (غريغوار) الذي يشرف على اطراف المدينة وهو يقع فوق تل عال يحف به سفح منحدر بشكل عمودي وبعد مقاومة عنيفة سقط بايدي الجزائريين في 2 من تشرين الثاني وبذلك تحقق للجزائريين سقوط المدينة بايديهم خاصة بعدما تمكنوا من احتلال استحكام سانت كروز المتحكم بالمدينة

وغدا امر الدفاع عن المدينة بالنسبة للاسبان هو كل مايملكونه لانقاذ انفسهم من موت محتم وهزيمة مؤكدة وبنفس الوقت اصبح الجزائرييون امام امر بالغ الصعوبة ويتطلب منهم شجاعة مدعومة باتحاد وسرعة تحرك وفعلا فقد اندفع الجزائريون دفعة واحدة اضاعت صواب الاسبانيين الذين وقعوا وسط دهشة وارباك شديدين بسبب قوة الهجوم من جهة وفقدانهم لزملائهم وانصارهم من جهة اخرى اضافة الى تهدم كافة الاستحكامات ولهذا اضطروا للاستسلام . استشهد من جيشنا في هذه المعارك قرابة 8000 شهيد وكانت خسائر العدو 15 الف قتيل و 4000 اسير وقبضنا على اكثر من 1200 مرتد من العربان واثناء الحصار استولت سفننا على قليون وسفينة للاسبان كانا ينقلان البارود الى وهران وعثروا في القليون على 300 مدفع وكمية لا تحصى من المهمات الحربية . وفي 4 من شوال وصل الى استانبول كل من قائد قباطنة الجزائر بارتنلي علي وقبطان السفينة رياله القبطان فلمنك علي (علي الهولندي) وقبطان السفينة بترونه فلمنك محمد (محمد الهولندي) وكانوا يحملون معهم مفاتيح وهران وبعض الهدايا الثمينة وقدم للقباطنة حلل فخرية كما قدمت لهم التعينات (المصاريف) اليومية ايضا وظلوا حتى ذهابهم الى بلادهم ينعمون في ظل السلطنة العلية مع كافة بحارتهم وعند ذهابهم الى بلادهم منحوا قليونا طوله40 ذراعا و400 قنطار حديد و400 قنطار بارود و400 قنطار قنب و100 قنطار كعك (بقسمات) .
اصبح قاتل الداي دلي ابراهيم (ابراهيم المجنون) دايا على الجزائر في 22 اذار سنة 1122ه / 1710 م ولكنه لم يستفد كثيرا من حصيلة جريمته وكان دلي ابراهيم يشغل منصب اغا العرب وهو رجل سفيه وظالم ومحب للدماء فقد امضى فترة حكمه التي دامت 5 شهور بالقضاء على محاولات الاغتيالات التي رتبت ضده وفي 12 اب حاول اغتصاب زوجة احد الانكشاريين فامرت اسيرها باطلاق النار عليه فاصيب الداي برصاصتين ثم فر هاربا لكن المراة خرجت تصرخ وتستغيث طالبة النجدة فهب الانكشاريون من ثكناتهم ومنازلهم لاغاثة المراة ونجدتها وحالما علموا بالحادثة هجموا على الداي فدخل دلي ابراهيم احدى غرف القصر واغلقا عليه ووضع خلف الباب بعض الاشياء محاولا منع المهاجمين من الدخول

وحينما عجزوا عن الدخول القوا عليه قنبلة من نافذة الغرفة فاردته قتيلا ثم حروا جثته في شوارع المدينة .سعى الداي جاهدا على زيادة اعمال القرصنة لان الانكشاريين اعتادوا على اعلان عصيانهم وتمردهم ضد كل داي قوي كان او ضعيف فهم لايفكرون الا بتامين معاشاتهم في الوقت المحدد لذلك عادوا الى سابق عهدهم بالتمرد ففي 23 حزيران 1713م تعرض الباشا للاغتيال اثناء خروجه من الجامع فطارد المجرمين فاحتشدوا في احد المنازل ودافعوا عن انفسهم بقوة حتى اصابهم الياس فاضطروا لحرق المنزل بالبارود وبعد ذلك تم شنق 30 متامرا من الذين تفرقوا في المدينة . خلال هذه المصيبة نشب حريق وموسة اعمال سلب ونهب لم تعرف مدينة الجزائر له مثيلا واثناء زيارة الداي مع الشواش للاماكن والازقة المتهدمة اصطدموا مع جماعة السلب والنهب وفي اليوم الثاني حدث زلزال اخر فهرب السكان الى خارج المدينة فقال احد الجنود الاتراك لقد حدث مثل هذا الزلزال منذ 40 سنة ولم يكف الاعند قتل الداي فتجمع المتضايقون من الحكم وحاصروا علي باشا في برج يلدز لكن الباشا تمكن من التغلب عليهم والحق بهم هزيمة منكرة بمساعدة من كان معه وفرض عليهم عقوبات صارمة وفي 26 شباط حدث زلزال اخر واستمر مدة 9 ايام وفي ربيع سنة 1717م قررت الدولة العثمانية اعلان الحرب على النمسا ودعت اوجاقات الغرب للاشتراك بهذه الحرب فطلب 10 قليونات من الجزائر و5 قليونات من تونس و 3 قليونات من طرابلس الغرب بغية ارضاء الاوجاقات ارسلت الى اوجاق الجزائر 25 خلعة (حلة) ولتونس 20 ولطرابلس الغرب 13خلعه عندما استلم الداي محمد الحكم كانت حالة الصناجق سيئه للغاية وذلك بسبب الزلزال الذي حدث وماتلاه من قحط استمرت سنوات تلفت خلاله المحاصيل وظهر الجراد وانتشرت المجاعة في جميع المناطق وحسب بعض الروايات انه تم بيع الانسان في ذلك الزمن كما ان القبليين اندفعوا الى السهول لسلب ةنهب مافيها بسبب الجوع واضطر الداي لاتخاذ اجراءات قاسية وصارمة بغية اعادة الهدوء للميدنة لم يترك الرياس علما من الاعلام التي كانت تحملها السفن الا هاجموها واستولوا عليها . لقد سعى الفرنسيون للحصول على معاملة خاصة فهم يريدون الحصول على امتيازات في الجزائر ويريدون حماية سفنهم من هجمات القراصنة ولكن القراصنة لم يكترثوا بهداياه

التي قدمها للداي والديوان معتمدين في تصرفهم على تاييد السالطان العثماني له . وفي سنة 1720م ارسلت فرنسا كمية قليلة من البنادق والسكاكر والماكولات على عكس القنصليات الاخرى التي كانت تصرف سنويا مايعادل 40 الف ليرة . اقامت الحكومة العثمانية الصلح مع حكومتي النمسا والبندقية في سنة 1717م ونصت المعاهدة على حرية التجول سفن البندقية بامان وفي الحقيقة فقد كان الاوجاقات الثلاث في حالة حرب وخصام شديد مع البندقية كانت حكومة البندقية تدرك ذلك جيدا وتعلم علم اليقين ان الاوجاقات لن يتقيدوا باوامر السلطان ولن ينفذوا ما يطلبه منهم ولهذا الحت على سفيرها في استانبول ايجاد حل سريع للمشكلة القائمة ووضع حد لكراهية الاوجاقات لها لان جميع الاهالي طلالبوا حكومتهم بوضع حد لنزاع الدائر مع الاوجاقات ووضع حدود لايحق للقراصنة تجاوزها واذاحدث واعتدوا عليهم ضمن الحدود الموضعه يعلمون الدولة العثمانية لتتحمل مسؤليتها اتجاه موافقتها على عقد المعاهدة معهم . اعتادت الجزائر على التمرد والعصيان وخاصة في فترة الفوضى والفقر لذلك اقسم بعض الرياس على قتل الداي محمد باشا لانه عاقبهم بشدة ففي 18 اذار سنة 1724م وفي تمام الساعة العاشره صباحا بينما كان الداي يتجول وسط التحصينات اصابته رصاصة بين كتفيه اردته قتيلا واستمر المتمردون يطلقون النار على مرافقيه وقتل حينها عددا من الشواش والخوجات وهرع العصاه الى قصر الجينية مباشرة لكن الخندار برغم من اصابته كان قد وصل الى القصر قبلهم فاغلق الابواب في وجوههم واعلن عبدي الاعمى دايا جديدا على البلاد وكان عبد الاعمى يشغل منصب اغا السباهيه فاصدر الداي الجديد امرا بالقاء القبض على قتلة محمد باشا وبالفعل فقد تمكن الحراس من القاء القبض على جميع المتمردين فقطع رؤوسهم جميعا .

7- عهد الدايات

انتخب الداي عبدي في 29 من ربيع الاخر سنة 1136هـ وهو ذو شخصية عسكرية قوية وطباع جيدة وروح رقيقة ولكنهم مع الاسف كان مدمنا على الافيون ونتيجة لهذا الادمان كان يصاب بنوبات جنون مدهشة حاول الهولنديون الاستفادة من تغيير امير الامراء فارسلوا

الاميرال غوده مع 5 سفن حربية الى الجزائر بغية عقد الصلح و في 3 ايار ادت التحية المعتاده لميناء الجزائر لكنه لم يتلق جوابا ولا استقبالا حسنا فغادر البلاد في 9 منه وفي 5 من ايار عندما كان الاميرال غوده في الميناء وصل سفير هولاندا ومعه انديرز شخصان من كبار بوابي الباب العالي يحملون معهما حلة وفرمان تعيين عبديس امير امراء الجزائر . والقصد من قدوم السفير للحصول على اموال السفن التابعة لجمعية اوستاند التي استولى عليها الرياس في سنة 1729م قرر الديوان تعيين وارسال امير الامراء الى الجزائر لانه تضايق من عصيانات الجزائريين ومؤامراتهم وكثرة الشكاوى الواردة في بعض الدول الاوربية وفي هذا القرار يكون الديوان الهمايوني قد قلل من نفوذ الداي وكسرشوكته بالاصل عين محمد باشا مير امراء الجزائر ووصل الى الجزائر في 20 حزيران 1729م يرافقه كبير البوابين ومايقرب من 20 موظفا لتولي المناصب كبديل عن بعض الموظفين مماكان الداي يعتمد عليهم في التمرد على قرارات السلطان وحينما علم الداي بقرار الديوان الهمايوني ووصول السفينة الى الجزائر ارسل المفتي ليخبر السفينة بالرسو في راس ماتيفوا وانه غير مستعد لتنفيذ القرار الهمايوني وفي حال حدوث عكس ذلك سيقصف سفينتهم بالمدفعية . اجتمع ديوان الجزائر بنفس الوقت وكتب رسالة الى الديوان الهمايوني معبرين فيها عن رفضهم للباشا المذكور وسلم الرسالة الى كبير البوابين بعدما خصصوا له سفينة اخرى تنقله الى استانبول لعرض رغبتهم على السلطان . وفي تونس اجتمع كبير البوابين اسماعيل ووكيل امبراطورية روما واخذ اغوات القطان باشا الاغا اسماعيل الى الديوان واجتمعوا مع الطرف التونسي بثلاث جلسات متساوية وفي النهاية اسفرت النتيجة عن عقد

معاهدة تتالف من 13 مادة ووقعت المعاهدة في 15 محرم سنة 1138هـ واشترط ديوان تونس وصول نسخة مصدقة خلال 13 يوم خاف الديوان الهمايوني من تاخر وصول النسخة المصدقة في الوقت المحدد والا فان ديوان تونس سيلغي هذه الاتفاقية وفي اواسط ربيع الاخر ارسل فرمان من الديوان الهمايوني الى تونس يطلب منها مراعاة التاخير لان احداثا جرت في ولاية بتش الواقعة في الاقاليم الاخرى من النمسا وان تاخير النسخة المصدقة

لايعني عدم موافقة الامبراطور على شروط المعاهدة لقد راى السلطان العثماني ان اقامة المعاهدة مع النمسا عمل جيد فاصدر فرمانا بابقاء امير الامراء تونس في منصبه ويؤكد عليه مراعاة الصلح مع النمسا . غضب الديوان الهمايوني من الجزائر لانها رفضت اقمة الصلح ولكنه اضطر لاتباع اسلوب المداراة معها علها تعود الى الطاعة وحمل كبير البوابين مسؤولية عدم افهام الجزائريين كيفية الخضوع والاستجابة لطاعة السلطان وارسل فرمان جديد اليهم يبحث الموضوع السابق وجاء فيه (حسب زيادة الاختصاصي وقبل اطاعة الجميع للفرمان الهمايوني فان الفساد والخلاف انتشر وظهر الاستبداد) وكلف القبطان باشا يرافقه كبير البوابين بايصاله الى الجزائر وفي هذه المرة وافق الجزاريون على عقد الصلح وارسلوا كتابا بفوضون القبطان باشا مصطفى باشا لعقد الصلح مع النمسا . طلب الديوان الهمايوني فتوى شرعية بحق معاملة داي الجزائر وجاءت الفتوى (يؤخذ الايمان من يديه واستيلائه على الامارة ادعاء باطل يعاقب عليه) وبناءا عليه فقد اصدر شيخ الاسلام عبدالله افندي فتوى بحق داي الجزائر وعليه يجب تطبيق الشرع الشريف بحقه وبموجب ذلك توجب اعادة بحث المساله من جديد وقد عمم الفرمان الوارد ادناه على سائر الممالك العثمانية والمتضمن عدم اعطاء عساكر الجزائر لوبحارتها أي شيء ممايحتاجونه ومنعهم من الاقتراب من سواحل وجزر المتوسط والممالك العثمانية كما ان الديوان الهمايوني مصمم على ارسال العساكر لقتال الجزائريين بسبب اصرارهم على العصيان والتمرد وعدم اطاعتهم للاوامر الصارمة . انطلق مونتامر باسطوله من القنت متجها الى الجزائر وبلغها في 29 حزيران وفور وصوله انزل قواته مباشرة في ساحل سهل الاندلس وقد تمكن الجنود الذين نزلوا اولا من هزم المفرزة الجزائرية المرابطة هناك واقاموا في الموقع الرئيسي مقرا لقيادة الجيش كان امير صنجق وهران مصطفى بوشلاغمبك يملك قطعه عسكرية مؤلفه من 3او 4 الاف جندي من القولوغلية و 30 الف مقاتل محلي من الاهالي والفاسيين . وكانت هذه القطعة بقيادة الهولندي ليباردا والمهتدي سرسري الشريف كذلك فقد وجد في الوقع 138 مدفعا منها 78 مدفعا من البرونز و7 مدافع هاون ارسل الداي عبدي الباشا مولانا

ابراهيم مفتي الجزائر الى استانبول لعرض فقدان وهران على السلطان العثماني ويطلب المساعدة من اجل استرجاعها قال السلطان العثماني في فرمانه الذي رد به علي عبدي باشا وافق على تقديم المساعده لما تطلبونه وقريبا سيعود مولانا ابراهيم الى الجزائر بعد انتهاء عمله وسترسل لك الاخبار مفصلا عن الاوضاع وليتوكل الجميع الى الله ولنعتصم بالقوةوالثبات والا تؤدي شجاعتنا الى الرخاء والتقصير وعلى كل حال سيكون حلفنا قوي ولنعمل بقلب قوي ومن اجل ذلك ارسلنا هذا الامر الشريف وهو يشجعهم على ذلك . استمرت الغرفة التجارية في مرسيليا تمارس ضغوطها على القنصل من اجل الحصول على الضريبة التي فرضتها والتي عرفت بضريبة كوتيموا عمل اليهودي بنزبيت رايس الجمعية اليهودية صرافا لدى الداي ابراهيم باشا وكان الداي يبيعه عشر محاصيل الجزائر وبنزبيت هو الذي شجع الداي على عدم دفع ضريبة كوتيمو ونظرا لموقف لاالداي اتجاه الانكليز كلف الاسطول الانكليزي بفرض حصار بحري على وهران لصالح الجزائر وهدفه من ذلك اقامة مراكز تجارية لهم في المرسى الكبير. بدا القنصل الفرنسي يحبك الحيل والدسائس داخل صفوف الانكشاريين واشاع بين العساكر ان خطر وجود الانكليز في المرسى الكبير اشد خطرا عليهم من الاحتلال الاسباني عليهم فاعلن الانكشاريون صراحة انهم لايريدون المساعدة الانجليزية لهم وكذلك رفضها الداي لاستراجاع وهران وشعر الانكليز بخيبة امل كبيرة . علاوة على الافلاس المال الذي تواجه الجزائر فقد تعرضت للقحط والمجاعة ولهذا اندفع القبليون الى اعلان تمردهم وعصيانهم فانصبوا كمائن على الطرق المؤدية للمدينة وبدا بنهب وسلب الارزاق المتجه اليها فحرمت المدينة من الارزاق وتعرضت لمجاعة شديدة كما ان القوة التي وعد الديوان الهمايوني لارسالها الى الجزائر باستعادة وهران لم تصل فازداد التذمر والغضب بين عامة الجزائرين وادركوا ان الديوان لايزال مستمرا في خداعهم . بدات التحركات الحربية بين تونس والجزائر لدى وصول كبير البوابين حاملا معه الفرمان الهمايوني ولدى التقاء الطرفين هزم حسين باشا فغادر تونس بعدما اخذ اولاده واخذ زينته معه وفي 3 من ايلول وصل الجيش الجزائري الى مدينة تونس ففتح المحافظون الاتراك ابوابها وكانت القولوغلية تنوي مقاومة الجزائريين والدفاع عن

المدينة لكن المحافظين الاتراك منعوهم عن ذلك . عين علي باشا امير امراء تونس بعدما ربطت تونس بالجزائر واشترط الجزائرييون عليه دفع 200 الف ايكوا سنويا مع تامين الجيش الجزائري بالمواد الغذائية . حذت حكومات السويد و هولندا وانكلترا حذوة اسبانيا فباشروا اسراهم وقدموا الهدايا كما ان علي باشا جمع النقود التي وعد بها

الجزائر ودفعها لها فعاد الفرح والرخاء الى البلاد من جديد وبدات الابنية تظهر في المدينة من جديد في سنة 1741م التجات سفينتان جزائريتان الى ميناء طولون هربا من العاصفة التي هبت وبقيتا هناك 15 يوما وبعد تحركهما تعرضتا لهجوم مفاجىء من السفن الاسبانية التي كانت مختباة وراء راس سيجية فالقوا بالقبض على سفينة الريس محمد فحين نمكن الريس سليمان من النجاة وبعد عودته الى الجزائر اخبر الديوان بماحدث وقال ان الفرنسيين هم الذين اخبروا الاسبان عن مكان سفينة الريس محمد ولهذا نصبوا الكمين لنا قدم السفير الفرنسي طلبا للدوله الثمانية يلتمس فيه مساعيها لتحديد موعد لعقد الصلح بين الطرفين وقد قدم المشروع اتفاقية للدولة العثمانية . عندما كانت الدولة العثمانية تعقد المعاهدات مع الدول الاجنبية كانت تتعهد تلك الدول بالتوسط لدى اوجاقات الغرب من اجل عقد الصلح مع هذه الدول ايضا والرفمان الوارد ادناه صوره طبق الاصل عن الفرمان الذي ارسله الديوان الهمايوني الى اوجاقات الغرب بشان الصلح المعقود مع ملك صقلية ويعد هذا الفرمان مثالا او صورة كررة كانت الدولة العثمانية ترسله لدى عقدها أي معاهدة مع الدول الاوربية , وفي سنة 1719م اعطى الفرنسيون اماكنهم التجارية الموجودة في الباستيون والمناطق الاخرى في ولاية الجزائر الى جمعية الهند وهذه الاماكن في سنة 1730 م اصبح اسمها جمعية افريقية وفي سنة 1741م اسموها الشركة الملكية الافريقية وجد في جزيرة طبرق مركز تجاري لعائلة لوملين الجنوية وهي الان تريد بيعه لكنها لاتملك حق البيع لانهال اتملك شيئا في الجزيرة وكل ما حصلت عليه هو حق ممارسة صيد المرجان وممارسة التجارة في هذه الجزيرة فقط . اصبح الداي ابراهيم باشا في ايامه الاخيرة عجوزا فاضعفت همته وانحل جسمه كثيرا . وفي سنة 1745م اصيب بمرض

ديزانتري فاشعربدنوا اجله لذلك اوصى بتعيين ابن اخيه وخازنه ابراهيم الصغير وكان اخر عمل له في امرة الامراء وصيته بتعيين ابن اخيه وبعد ان سلمه بمنصب الداي انسحب من قصر الجينية للاستراحة وترك ابن اخيه يمارس صلاحياته بمطلق الحرية وقد عاش الداي ابراهيم الباشا فترة قصيرة بعد ذلك ومات في 17 تشرين الثاني سنة 1745م

-8اوضاع فاس من سنة 1727م /1139هـ حتى سنة 1830م/ 1246

بعد وفاة حاكم فاس نشب خلاف بين ولديه احمد و عبد المالك،وفي سنة1727م اجبرت احى السفن الجزائرية للجوء الى السواحل الفاسية تفاديا من عاصفة هبت فجاة وهي محملة باشياء ثمينة فسلب الاهالي جميع ما فيها فقدم السفير الجزائري يطالب بالتعويض من جهة والمباركة لحاكم فاس الجديد من جهة اخرى ولمعرفة احوال فاس ومع من تتعامل فخرج بصورة ومفادها ان الاخوين سيقتسمان الحكم ولكن لن يكونا راضيين وفي حال نشب الصراع بينهما يكون بامكان الجزائر مهاجمة فاس وتخوفا من قيام الجزائر بذلك استقبل مولاي احمد سفير الجزائر استقبالاجيدا ودفع له تعويض السفينة وقدم له الهدايا الثمينة واعاده الى بلاده معززا مكرما،واعلن مولاي عبد المالك حكمه على مراكش.

في سنة 1730م عندما كان مولاي عبدالله بن اسماعيل يحكم جميع الاطراف جمع الاشراف والاعيان من حوله وطرد المرابطيناستلم الحكم آخر مرة سنة 1747م بفضل دعم الشرفاء له،وقد كان الصراع الحكم يدور بين ستة سلاطين منذ وفاة مولاي اسماعيل 1727م وحتى وفاة مولاي عبد بن اسماعيل1757م،وبصراع هؤلاء كانت الجزائر تعج بالمشاكل الداخلية والصراع المستمر مع ولاة تونس،وانشغلوا عما يدور في فاس,ظل سلاطين بني عثمان يرقبون بحذر شديد تطلعات سلاطين فاس للخلافة ولهذا واجهوا محاولاتهم علنا وكانت هدايا فاس لم تكن اعترافا بالتبعية للعثمانيين وانما للحصول على بعض البحارة للتدريب والحصول على الالات والمعدات الحربية وكانت الدولة العثمانية تلبي طلناتهم وخاصة حين مدتهم ببعض احتياجاتها سنة1761م.

قام حاكم فاس عبدالله بن اسماعيل باسر عدد من رجال دوبروفثيك وهذا من جملة الرعايا العثمانيين وعندما كان في استانبول عرض مراقب المصالح راغب باشا هذا الموضوع

فوجهت رسالة الى حاكم فاس بشان ترك هؤلاء الرجال الذين اسرهم.لبى حاكم فاس رغبة الدولة العثمانية وبعد ذلك وجه رسالة مع احد رجاله يدعى عبدالكريم وحمله بالهدايا الثمينة مع 4خيول فسلمه السلطان العثماني رسالة جوابية واعاده الى بلاده سنة1767م وكانت الحكومة العثمانية تعامل فاس معاملة حسنة فقد ارست مع سفير فاس بعض الهدايا الثمينة اضافة الى سفينة مملوءة بالمدفعية والحيوانات وخاصة مدفعية للحصار.

في سنة 1199ه ارسل مولاي محمد بن عبدالله ابن اخيه عبدالمالك محملا بالهدايا الى مكة على متن سفينة اسبانية كما ارسل الهدايا الى السلطان العثماني عبدالحميد الاول ويقول له في رسالته(ان الهيئة التي تنقل الرسالة والهدايا امينة على السر وطلب منه ارسالها وقد اتخذ تلك الخطوة تخوفا من ابنه يزيد لان يزيد لوقابل حامل الرسالة سياخذها منه،جاء يزيد الى القاهرة لانتظار القافلة وعندما علم بتحركها عاد الى مكة فوجدها وزعت ولم يبقى سوى هداياهل اليمن فسرق كل ما يستطيعه فاخبرت الهيئة الوالي فاعاد قسما منها ولكن يزيد انكر صندوق الذهب فتبرأ مولاي محمد من ابنه عندما علم بغعلته وطلب من السلطان العثماني عدم استقباله في حال قدومه،عاد يزيد بعد3سنوات قضاها في الشرق ودخل فاس دون ان يراه احد فلجأ الى تربة سيدي عبدالسلام،وفي سنة 1786م ذهب ابو القاسم احمد الزياني مع هيئة تتالف من طالب عباس والكاتب محمدبن عثمان بصفته سفير حاكم فاس الى استانبول برسالة وسفينة محملة بالهدايا والبارود وبعض الادوات الحربية والاواني والساعات وكان مضمون الرسالة انقاذ الاسرى العثمانيين الوجودين في مالطة كما طلب من السلطان وضع حد لاعتداءات الجزائريين عليهم،كلف الديوان الهمايوني عزمي افندي بالتوجه الى فاس بصفته مبعوث شخصي للسلطان لاجراء مباحثات مع مولاي محمد،وارسل مولاي محمد بعد عودته برفقة محمد طاهر فينش مع الهدايا الثمينة الى استانبول ووصلا في 9رجب 1202ه لكنه بقي ريثما يعود الصدر الاعظم من مهمته مع الجيش في بلاد الروم وفي نهاية رجب ذهب الى الديوان الهمايوني بعد عودة الصدر وقدم له الرسالة والهدايا وبعد انتظاره لمدة شهرين عاد الى بلاده حاملا جواب الرسالة.تلقى مولاي محمد رسالة جوابية

من القائد محمد بن عبدالله في جمادى الآخرة سنة 1204ه وذكر في الرسالة الهمايونية ان الاسرى والبالغ عددهم 536مع قنطار من البارود والسبائك الذهبية قد وصلت وسجلت في القيودات الهمايونية،ولكن الرسالة وصلت بعد وفاة السلطان عبدالحميد الاول الى مولاي محمد.

توفي مولاي محمد سنة1790م وحل مكانه ابنه يزيد الذي سار على منهجه في في العلاقات الجيدة مع الاتراك وحينما قام محمد الكبير بمحاصرة الاسبان في وهران قام هو الآخر بمحاصرتهم في سبتة لكنه فشل وجرح اثناء ذلك وتوفي على اثره. قام امير تلمسان محمد الكبير بحملة ضد اشقياء وجدة وحاصها وعين مولاي سليمان موظفا لادارة وجدة وجمع الضرائب وزوده بالقوة وعند وصول موظف مولاي سليمان الى وجدة انسحب منها محمد الكبير عائدا الى بلاده،وبعد 3سنوات من الحصارتوفي محمد الكبير اثناء عودته الى الجزائر فحل مكانه الحجي مصطفى ولم يكن القائد الشجاع.

تمكن مولاي سليمان من اخماد تمرد التطوانيين المدعومين من الجزائر ولاحق محمد عبدالسلام الذي تمرد في الريف والقى القبض على نصيره الزيتاني ولادراك مولاي سليمان ان العدائية تجاه المرابطين ستجر عليه المتاعب قرب اليه اصحاب الطريقة التيجانية وبعض الطرق الاخرى المعادية للاتراك وسخر كل ما لديه من امكانيات لاظهار التمردوالعصيان في الجزائر. بتحريض من المرابط عبد القادر بن الشريف اعلن العصيان بولاية الغرب الجزائرية وتمرد كذلك الحاج محمد بن الاعرج الملقب(بودالي)من قبيلة بابور. اشترك الدرقاويون بالتمرد ضد الجزائر وفر عبد القادر بعد هزيمته الى اطراف تلمسان واجتمع مع الدرقاويون وقرروا الهجوم على تلمسان مستغلين انشغال محمد بك بمطاردة المتمردين وعند تعرض حامية تلمسان الى الهجوم من جميع الاطراف انسحب الى القلعة الداخلية(حصن المشور)وعلم محمد بك بالهجوم وتوجه الى تلمسان واصطدم مع الدرقاويين في وادي(الآحاد)وقتل منهم 600متمردوبذلك انقذ تلمسان من الحصار.وكان مولاي سليمان يلاحق ويراقب الدرقاويين بدقة وحذر واثناء انقاذ تلمسان اثبت لهم بانه لن يتدخل بالاحداث وعاد محمد بك الى وهران بعدما صالح المحافظين من سكان تلمسان.

عندما كانت القوات الجزائرية منشغلة بتاديب المتمردين فيالشرق والغرب احتل مولاي سليمان فغيغ سنة1805م وتوات سنة1808م واحتل غوارة وتوفي سنة1821م واستلم مكانه مولاي عبدالرحمن .

وفي مطلع القرن التاسع عشر سادت العلاقات بين الدولة العثمانية وحكومة فاس وفي21ربيع الاول سنة1222ه ارسل مولاي عبدالرحمن رسالة تهنئة الى السلطان مصطفى الرابع بمناسبة توليه العرش العثماني وفي23رمضان 1222ه طالبت الحكومة العثمانية بالديون المستحقة عليها منذ زمن بعيد وبلغت 20الف كيسة ومنذ ذلك التاريخ اتسمت المعاملة بالرسميات،لكن طابع العداوة هو الغالب على تلك العلاقات.

-9عهد الدايات

في20تشرين الاول سنة1745معين ابراهيم الصغير(كوجوك)دايا على الجزائروكان عمره آنذاك 45سنة وقد ارتبط مع الاجانب بعلاقات جيدة وفي تلك الفترة كان امير تونس يفكر بالهجوم على طرابلس الغرب وكان سكان طرابلس والجزائريين اصدقاء,قاد الداي 6نيسان سنة1746مجيشا يتالف من 4آلاف جندي من الاتراك وعددكبير من الاهالي واتجه الى تونس وحاصرها وبعد حصار طويل فوجئ الجزائريون بهجوم معاكس يشن عليهم فبسبب الوباء الذي فتك بالجيش الجزائري اجبر الداي ابراهيم الى فك الحصار والانسحاب نهاية كانون الاول 1746م .

تخوف امير تونس علي بك من محاولة الداي ابراهيم مهاجمته ثانية فقدم له الهدايا وعرض عليه الطاعة فقبلها،وتمرد الاهالي والقولوغلية في تلمسان وطردوا قائدهايوسف بك فوجه الداي قوة عسكرية سحقتهم ففرض على الاهالي غرامة مالية كبيرة واصدر امر بقتل القولوغلية يوم الصيد كما صمم على ابادة المتواجدين في العاصمة لكنه مات فجأة في3شباطسنة1748م،وحل مكانه حجة الخيل محمد باشا بن بكير وبواسطة القبطان داريا والهدايا التي ارسلها الى استانبول عرض طلبه على العتبة العلية وكانت النتيجة ترقيته الى رتبة باشاواسندت اليه امرة الامراء،وارسلت اليه حلة لرفع قدره وشأنه وطلب منه حسن

المشاورة مع الاوجاق ومراعاة الحدود مع البندقية واحترام صلح صقلية والدولة العلية وعم الحاق الضرربطواقم سفنها،هذا ماتضمنه الفرمان الشريف المرسل له.وفي سنة1747م قدمت الدنمارك للجزائريين 400مدفع و40مدفع هاون و600قنبلة و20 قذيفة وكمية من لوازم الانشاءات،لكنهم رفضوا مدافع الهاون المصنوعة من الحديد الصلب واشترطوا ان تكون مصنوعة من البرونزوهددهم بقطع العلاقة اذا خالفوا ذلك،كما قدمت هولندا لوازم وبارودوقذائف ورصاص بقيمة40الف فرنك وقدمت السويد القطران و500قنطارباردو20الف قذيفة والصواري والاخشاب اللازمة لصنع السفن الكبيرة.ومنذ عدة سنوات والبابا بيوس الرابع يعد العدة لحرب صليبية وجهز لذلك جيشا مؤلف من 12الف جندي بجاهزية تامة فارتعد الجزائريون عند سماعهم الخبر فطلبوا مساعدة استانبول فقابل الديوان الهمايمني طلبهم ببرود واعتبره عقابا بأوجاق الجزائريين لتمردهم ورغم ذلك ارسل لهم قوة تتألف من عدة مدافع مع الجنود العاملين عليها،وفي21أيار1749م استقبل الداي القنصل(اندري الكسندرلومير)الموجود في الجزائر وتباحثا امر الجيش الصليبي وقال الداي اخاف من قيام اتحاد بين فرنسا واسبانيا وشن هجوم مشترك على الجزائر. لم يتم الهجوم الصليبي على الجزائر نظرا لاهمال وبخل بعض الحكومات تخلصت الجزائر من الخطر ايضا . ان مثل هذا الهجوم لفت انظار اوربا قاطبة الى الجزائر لانه لاتوجد دولة اوربية الاوترغب بالانتقام واخذ ثارها منها . تعرضت الجزائر لكارثة كثيرة وفقدت بحدوثها ماتمعت به من نجاح السياسة الخارجية للداي محمد بكير ففي ليلة 8 ايلول سنة 1750 م انفجر مصنع يلدز للبارود وكان يشمل على 1500 قنطار من البارود وتهدم برج مولاي محمد والمنازل المجاورة له فطلب الداي من حكومتي الدينمارك والسويد تعويضه عن الذخيرة التي ضاعت واحضار الالات اللازمة لاعادة المصنع كما كان . لقد مثل الامبراطور كل من (غريمو ماريسل و كارلو ايبوليتي) وبلغى سفير فرنسا البارون (دي نغلر) المقيم في استانبول بذلك ازاء ذلك عين الديوان الهمايوني القبطان باشا ومعه شخص اخر يمثله لهذه المباحثات ومنح تفويض المباشره بها كذلك فقد وجه الديوان الهمايوني الى الجزائر سفينتين يحملان الفرمان السلطاني بشان توقيع المعاهدة بعد ارسال الفرمان

بشهرين أي في اوئل ربيع الاخر سنة 161هـ ارسل فرمان اخر ويطلب من صنصنغور علي اغا المباشرة . وفي ايلول سنة 1752م اطلق القبطان بريبود النار على سفينة كانت تقترب منه لانها لم تعطي الاشارة اوترفع علما واعتقد انها سفينة تابعة لقراصنة سلا وتبين بعد اشتداد القتال بين الطرفين بانها جزائرية وهزم القبطان المذكور والقي القبض عليه وبلغت خسارة الجزائرين مايقرب من 30 قتيلا ولدى وصول القبطان الى مدينة الجزائر تحركت عائلات القتلى وسط المدينة تطالب بالثورة فادخل القبطان الى قصر الجينية وكان الداي انذاك غاضبا فامر بجلد القبطان دون ان يستمع اليه فمات القبطان تحت الضرب ثم سجن بحارة السفينة في سجن الاسرى ولم يتمكن القنصل الفرنسي الامن انقاذ الاسرى فقط وفي هذه السنة جاء فرمان يؤكد بقاء محمد باشا بامرة الامراء . توفي امير قسنطينية ابو حنك سنة 1753م / 1167هـ وقد استمر في هذا المنصب قرابة 17 سنة وخاض المشار اليه عدة حروب وخرج منها منتصرا ظافرا وقد امتاز بوحنك خلال ادارته لصنجق قسنطينية باعتماد العقل والحكمة في كل خطوة وعمل ولم يقم باي عمل الا بعد دراسته دراسة جدة ويتاكد من نجاحه كما انه امتاز بهمة عالية ساهمتي تحسين وتجميل مدينة قسنطينية كما انشا جامع سيدي الاخضر ودفن فيه . ارتبط الداي علي باشا بعلاقات حسنة وجيدة مع انكلترا و فرنسا ولكنه كان في حرب مع توسكانيا وهولندا لانه اذا قام الصلح مع جميع الدول فهذا يعني الغاء القرصنة وحرمان البلاد من الموارد الاساسية كان الدايات انفسهم يعتمدون عليه لحل ازمتهم المالية . اتخذ الدانماركيون والسويديون الهدايا كطعم لتهدئة العواصف بينهم وبين الجزائريين وبقية الاوجاقات الاخرى .

في سنة 1756م / 1170هـ شن علي باشا الحرب على تونس واحلتها وهاجم فيها قناصل النمسا والسويد وبيدرلاند والقى القبض عليهم كما استولى على اموالهم وسجنهم واسترق افراد عائلاتهم وسبى منزل القنصل الهولندي لانه قدم البارود والذخيرة للتونسيين وقد حاول القنصل الايضاح للجزائريين بان ذلك موجود اكثر من 100 عام . عين علي باشا بعد غزوه لتونس محمد بك اميرا عليها وقبل محمد بك دفع 50 الف سغين سنويا الى الجزائر

مقابل ذلك . استولى اميرال مالطة (باي دي فلوري) على عدة سفن جزائرية فطلب علي باشا من القنصل الفرنسي التدخل لاسترجاع السفن فاوضح القنصل الفرنسي دولومير للداي بانه لايوجد علاقات بين الملك الفرنسي وفرسان مالطة . ضجر الداي من كثرة شكاوى القنصل الفرنسي فطرده من مجلسه فقال القنصل الفرنسي للداي : ان الفرنسيين اصدروا جوازات سفر فرنسية ولم يعد احد في فرنسا يهتم بهذه المواضيع التافهة وقد استمر الامر على هذا الحال حتى سنة 1762م وفي هذه السنة قدم موظفان فرنسيان شرحا للداي الامر فاجابهما الداي بانه لاعلم له وانه خدع بذلك فطلب الخزنجي وانزل به عقوبة صارمة لانه خدعه واعتقد الموظفان الفرنسيان بان ما شرحاه للداي كان كافيا وعادوا الى فرنسا دون ان يقدما تقريرا عن مهمتهما . ارسل امير امراء الجزائر مبعوثه حجي محمد الى استانبول قبل ان يرد على فرمان الديوان الهمايوني السلطان بالهدايا مع رسالة يعلن فيها استعداده للجهاد ويعرض طاعته وعبوديته للسلطان ويذكر في رسالته ان الاسبان احتلوا قلعة وهران وانهم اتفقوا مع العربان المقيمين بجوار القلعة وبما انهم يحاربون صيفا وشتاء لهذا لم يبق لديهم قوة تكفيهم للمحاربة اكثر وان هؤلاء الكفار ياتون من اسبانيا التي تبعد عن وهران مسافة ليلة واحدة وبهذه الصورة تاتيهم الذخيرة والمعونة وكل مايلزمهم مباشرة يطلب العون والمساعدة والسماح له بتطويع العساكر من الممالك المحروسة استعدادا لمحاربتهم كما يطلب امداده بالمدافع والذخيرة وغيرها من اللوازم الاخرى كما يطلب السماح له بجمع الضرائب من الذاهبيين الى الحج وبلاد الاناضول كما انه يسترحم السلطان باصدار فرمان بذلك ورسالته مؤرخة سنة 1172هـ. تمرد الاسرى في 13 من كانون الثاني سنة 1763م / 1177هـ بسبب سوء المعاملة وبفقدانهم الامل بعد دفع الفدية من قبل ذويهم او دولهم ومرد ذلك الى ارتفاع فدية الاسرى هذا التمرد ادى الى قتل العديد منهم ومن جملة من قتل ابن امير تونس القديم يونس بك . علنت الجزائر الحرب على توسكانيا وذلك لاعطائها جوازات سفر توسكانية لرعايا نابولي وبموجب هذه المعاهدة فلا يحق لهم منح أي جواز سفر الا لرعاياهم وفي سنة 1765م تم نفي 40 شخصا من الاتراك الى ازمير لانهم خططوا لقتل الباشا كذلك فقد امر الداي بمصادرة اموالهم وعاش الباشا سنة اخرى ولكنه

لم يخرج الى الخارج ومات في 2 من شباط سنة 1766م الموافق شهر رمضان 1179 هـ .

-10عهد الدايات

كان الداي محمد يعمل جليسا للسلطان ثم اصبح خزندارا واثناء مرض علي باشا الاخير تمكن الداي محمد بحزمه وحسن تدبيره من افشال التمرد الذي اعده الانكشاريون وقد عرف الداي محمد بقوة شخصيته وارادته ورجاحة عقله وكان حاكما عادلا لكنه خسيس ومحب للمال وبالرغم من ذلك فقد كان تعيينه مناسبا وهو يعتبر من افضل الدايات الذين تولوا ادارة الجزائر استمر حكمه فترة طويلة وقد تمتع بلقب باشا مثل بقية الدايات الذين سبقوه . وفي تشرين الثاني اجتمع الانكشاريون بالقرب من راس الخزان محاولين اعلان الثورة الا ان الداي هاجمهم مباشرة وقتل اربعة منهم فاخمد العصيان وكان محمد باشا يعامل الجزائريين معاملة حسنة وعادلة وبما ان نظام الانكشارية فسد منذ زمن بعيد لذلك فان الاجراءات الحازمة التي اتخذها الباشا لم تحقق أي شيء وظل حتى تاريخ 1198هـ / 1783م ينزل بهم اشد العقوبات للحد من عصياناتهم المتكررة والمستمرة ورغم ذلك تصدى لهم وقاومهم بكل عند وشجاعة . وفي سنة 1772م / 1186هـ ارسل الدانماركيون الاميرال هوسلندا الى الجزائر فعامله الجزائريون معاملة قاسية جدا ولم يكتفوا بالاقتناع عن دفع الاموال التي سلبوها من السفن الدانماركية بل طلبوا منه دفع 50 الف سغين واربعة مدافع من البرونز و 400 قنبلة و 500 قنطار بارود و 500 صارية للاشرعة وكميات كبيرة من الاخشاب ومواد البناء والعديد من الاحبال الضخمة ودفع جميع الهدايا المترتبة على السنوات الماضية اثناء قطع العلاقات وبالفعل فقد استجاب الاميرال للطالبات الجزائرية ووعد بتسليمها باقرب فرصة . وفي سنة 1768م / 1182هـ تم تبادل الاسرى بين الجزائريين والاسبان على نطاق واسع فمنذ 250 سنة والمجلس العسكري الملكي الاسباني يعارض بيع وشراء وتبادل الاسرى منطلقا من مبدا ان تبادل الاسرى يؤدي بشكل او اخر الى زيادة عدد المسلمين وتقويتهم وبالرغم من ذلك فقد تم تبديل 1106 اسرى في سنة 1182 هـ وبقي 710 اسرى اسباني فدفع الاسبان فديتهم اكثر من 7 ملايين ليرة . دفع البرتغاليون مليونين

مقابل اسراهم ودفع النمساويون 500 الف ليرة وكانت فدية الاسير الواحد 1200 قرش للمالك الخاص وقد ارتبط الداي مع

الفرنسيين خلال تلك الفترة بعلاقات جيدة وحسنة . وفي 27 من تشرين الاول سنة 1772 م جاء القبطان ويلكنس الى الجزائر معلنا التجائه وطالبا مساعدة الديوان لانقاذه لان الاسرى فروا من سفينته وبعد دخوله الديوان قدم شكواه فاخبره الديوان بانه لايمكن استقبال القنصل المطرود في قصر الجينية واما الاسرى فهم مكبلون بالحديد وقد حدد له يوما لرؤيتهم وهكذا عاد القبطان الى بلاده دون ان يحقق طلبه . وفي 21 من تشرين الاول سنة 1773م/ 1187ه جاء ستوف على متن فرقيطته الارم واخبره الداي بان سبب الخلاف هو القنصل فاذا كنتم تريدون الصلح فعليكم تبديله . وفي سنة 1774م /1188ه جاء القائد دنيس الى الجزائر على راس سفينتين واحضروا معه القنصل فراسر ولكن الجزائريين لم يستقبلوه ولم يسمحوا له النزول من السفينة . في بداية هذا المشهد نزل قائد الاسطول الاسباني من سفينته فلاسكو ولكنه لم يتمكن من جمع جنوده بالرغم من الجهود التي بذلها كما فشل المتطوعون الاسبان والالوية الدفاعية والحامية من تنظيم صفوفهم وذهبت جهودهم سدى وعندما صعد الجنرال الى التحصين المنشا على عجل من جذوع الاشجار بغية تفقد جنوده ادرك ان التعب وقلة النوم والماء انهكت قواهم لانهم خلال 48 ساعة لم يعرفوا طعم النوم والراحة اضافة الى اشتداد الحر وقلة الذخيرة فغدت بنادقهم بدون طلقات وتكونت لديهم قناعة بعدم القدرة على الصمود والبقاء ولا حتى الرد على نيران بنادق الجزائريين التي تتزايد باستمرار وقرر المجلس الحربي الذي عقده هناك الانسحاب والعودة .عم الفرح والسرور مختلف مناطق افريقيا الشمالية فاندفع الشعراء ينظمون قصائد المدح والثناء بحق المجاهدين واقيمت الروايات الخرافية عن بطولة المجاهدين ومازالت تردد على السنة الناس حتى الان . سطع اسم الداي في مناطق العالم الاسلامي وبخاصة في شمال افريقية واغرق بالتعظم والاحترام لانه لم يترك شيئا للصدفة وكوفىء الباشا على رجاحة عقله وبعد نظره باتخاذ الاحتياطات والتدابير اللازمة للدفاع . ولدى سماع الداي بان الاسبان تستعد لشن هجوم جيدا انتقاما لهزيمتها قام بتحصين النقاط الضعيفة في الساحل وانشا

الاستحكامات الجديدة ووضع بطاريات المدفعية فيها وطلب من الدول الاوربية التي تتفق مع الجزائر مده بالسلاح والذخيرة وقدم الهدايا الثمينة للمقاتلين المحليين وارسلهم الى مناطقهم فرحين مسرورين ولم تتعرض القنصلية الفرنسية خلال الهجوم الى أي اذى بل على العكس من ذلك فقد اصبحت ملجا للاسياد الاسبان . استدعى الداي محمد القنصل الفرنسي دولا فاليره الى مجلسه واخبره بان فرنسا مسؤولة عن حماية سفنها وطلب منه اعادة الهدايا المرسلة اليه من قبل السلطان كاملة وذلك اسنادا انصوص المعاهدة المبرمة بينهم . كان افراد هذه الحامية المرتزقة تبغي الفرار من الجحيم ولكنهم كانوا يعلمون انهم اذا هربوا من هنا فلن يدوا لانفسهم وطنا اخر ولكن تلك المشقات كانت تؤخد بعين الاعتبار فغدوا مستعدين لتغيير دينهم من اجل الخلاص مماهم فيه وعلاوة على ذلك فان عقولهم كانت مليئة بالثراء السريع من جراء احترافهم لمهنة القرصنة او ما يضمنه السودان من ثروات . وبناء على ذلك فقد هربت الحامية على المرحلتين قسم منها وقع بايدي الاهالي وغدا مصيره مجهولا والقسم الاخر وقع بايدي الجيش فارسلهم الى الجزائر وهناك وضعوا بالسجن ولم يقبل اسلامهم . كان الاسرى يمنعون من دخول الاسلام تحت تاثير القناصل والاسياد الروحيين لهذا فقد شنت حملة ضد القناصل وكبير القساوسة وقتل عدد منهم خلال اعمال الاضطراب والفوضى التي حدثت احتجاجا على تصرفهم . في سنة 1777م / 1191هـ توفي امير الغرب وكان من المتوقع ان يخلفه محمد بن عثمان الا ان رجلا اخر عين ويدعى حجي مصطفى وبقي محمد بك نائبا له . تمرد الدرقاويون في ولاية الغرب بقيادة الشيخ عبد القادر بن الشريف وبما ان مصطفى بك لم يتحرك بسرعة ويظهر الشدة تجاههم فق ازدادت جراة الشيخ عبدالقادر واستولى على مسكرة فاضاع على مصطفى بك فرصة الجهاد في استعادة وهران . في سنة 1197هـ تم تعيين القنصل الفرنسي (كريسكركي) وكان الجزائريون اثناءها يخوضون حربا مع جميع دول اوربا ماعدا فرنسا وبما ان الداي رفض السماح لقنصل الانكليزي بالدخول الى مجلسه لذلك لجا القنصل المستهتر الى تهديد الداي فامر الداي بطرده نهائيا من البلاد سنة 1783م / 1189هـ .

11- عهد الدايات

تلاشت قيمة انكلترا في اعين الاسبان اثر انتصارهم عليها في ميورقة وخاصة بعدما استعادوا هيبتهم عليها فتلاحقت بذلك الضربات على انكلترا اثر حرب الاستقلال الامريكية ةهزيمتها في ميورقة وقد رفض الجزائريون خلال تلك الفترة اقامة الصلح مع روسيا . بعد انتصار الاسبان في جزر البليار اعتقدوا انهم قادرون على تهدئة التوتر القائم بينهم وبين الجزائريين فاخذوا يتقربون منهم وازداد هوسهم بذلك . ففي هذه الاثناء ارسلت اسبانيا سفيرا الى السلطان العثماني وحملته بالهدايا الثمينة اراد السفير مقابلة الصدر الاعظم ولكن ها مخالف لقواعد الباب العالي رسميا وعندما كان الصدر الاعظم يتفقد المدفعية السريعة في (محلة الورق) التقى معه السفير الاسباني من باب الصدفة .

كانت اسبانيا تريد اشراك الجزائر بالصلح العقود بين اسبانيا والدولة العثمانية وسلم افرمان المتعلق بالصلح للسفير الاسباني وارسل السلطان كبير البوابين لاخبار الجزائريين للصلح مع اسبانيا على الرغم من فرمان السلطان الاان محمد باشا لم يعترف بالصلح مع اسبانيا وقال : اني اعلم ان ملك اسبانيا شارل الثالث يقوم بتجهيز اسطوله وكي لايعتقد اني خفت منه لذلك هرعت الى عقد الصلح و لهذا لا اريد التحدث بهذا الموضوع وفي اوائل ذي الحجة سنة 1195 هـ تغير نوع وعدد السفن التي ستقدمها الاوجاقت فطلب من الجزائر تقديم 12 قليونا و 3 سفن ساحبة ومن تونس 6 قليونات ومن طرابلس الغرب 8ة قليونات واستنادا الى هذه التغيرات تغير مقدار الاموال التي كانت سترسل الى الاوجاقات فاصبحت مخصصات الجزائر 28 الف قطعه ذهبية وتنس 12 الف قطعة وطرابلس الغرب 16 الف قطعة ذهبية . عندما فشل الاسبان بالتوصل الى عقد صلح مع الجزائر قرروا الى استخدام سلاحهم وتجربته مرة اخرى فبداوا للاستعداد لذلك وكانت توقعات محمد باشا صحيحة وفي 28 حزيران سنة 1784م تحرك الاميرال انطونيو من قرطاجة على راس اسطول مؤلف من 130 سفينة صغيرة وكبيرة منها 11 سفينة لنابولي و8 سفن مالطية وكان الاسطول يضم 26 سفينة حربية و30 سفينة تفجير و 24 سفينة حاملة للمدفعية وقاليوطة واحدة اما السفن الباقية فهي مخصصة للنقل وكانت هذه القوة قوة صليبية حقيقة وقبل انطلاقها

اقام البابا قداسا لكي تغفر لهم ذنوبهم وفي 9 من تموز وصل الاسطول مشارف الجزائر ولكن الطقس استمر في ردائته حتى 12 تموز ومع صباح ذلك اليوم لدى العدو لفتح نيران مدفعيته ولكن قائد الاسطول الجزائري سلامي الحاج محمد مشهور بقوته وشجاعته وحسن تدبيره وكان سابقا قد صنع زوارق ذات ست و سبع مقاعد وجهزها بالمدافع والجنود والذخيرة كما جهز ايضا 50 سفينة اخرى وجهزها بالمدفعية فدفعها لمواجهة العدو ومجابهته ولجراة قباطنتها وصمود مقاتيلها اجبر اسطول العدو الى التراجع . عندما كان الجزائريون في برشلونة استولوا امام اعين الجميع على سفينتين لجونا وحمدوا على الله على ذلك لان السكان كانوا ينظرون اليهم من المناطق المرتفعة وهم حزينون . عقد الاسبان الصلح مع طرابلس الغرب ويقول واصف افندي عندما كنا في مدريد جاءت الهدايا ومازالت المرالات مستمرة من اجل اقامة صلحنع تونس . في احد الايام سئلت هيئة جزائرية معتبرة المقامات في مدريد لماذا عقدتم الصلح وماهي مصلحتكم : اجابت الهيئة ان فائدة الصلح يضمن لنا فوائد كبيرة فهذا الصلح يستمر 3 سنوات والربح السابق لايزال مستمرا ومن اجل 3 سنوات اخذنا كل هذه الاموال ولم نخسر شيئا ففي مضيق سبته القوا القبض على سفينتين لسفير موسكو محملة بالنبيذ فباعوا الحمولة ثم السفينتين لاسبانيا لانهما كبيرتان وهما لايستخدمون السفن الكبيرة وفي 5 شعبان سنة 1202هـ عاد واصف افندي من اسبانيا الى استانبول ان الصلح كلف اسبانيا 20 مليون ولم تحقق من جرائه أي شيء يذكر لان الاسبان منذ القديم يكنون العداء للاوجاق فجذور الحقد والبغضاء عميقة ولا يمكن اقتلاعها في يوم واحد . وفي ربيع سنة 1787م تعرضت الجزائر لوباء شديد وبعدما قتل العديد من الاعالي زال في تموز وانتقل الى وهران فغدت البلاد خالية من الرجال حتى ان معظم المحاصيل بقيت دون ان تجنى وكانت هذه المصائب تتولى على الجزائر باستمرار مسببه حدوث الثورات والعصيانات ففي هذه المرة القي القبض على الخزنجي مع ابن امير قسنطينة بتهمة الخيانة فقتل الخزنجي ووجد في منزله جميع اموال الخزينة . خرج الاسطول العثماني الى البحر الاسود واثنائها ظهرت بعض سفن القراصنة في البحر المتوسط

وشكل اسطول بقيادة القبطان ماني يتالف من 7 سفن من تونس الى الجزائر وانضمت اليه 12 سفينة من الاسطول العثماني واتجهوا الى هناك بغية المحافظة على هذا الطرف استمرت الحرب مع روسيا حتى سنة 1791م . في سنة 1787م تووترت العلاقات بين تونس والجزائر بسبب التجا بعض المفسدين الى تونس وحمل الجزائريون مسؤلية اختلاق الاسباب ووصل الامر الى تصميم الطرفين على الحرب . في سنة 1788م شن صالح باي هجوما على بلدة تقرت وكان كحاكها من عائلة ابن جلاب فتوجه صالح باي الى هناك للاستفادة من الخلاف الناشب بين افراد العائلة لكن الواحة صمدت لهجمات صالح باي ففشل بالاستيلاء عليه ولكن استطاع بسياسته ان يفعل مالم يفعله السلاح فحينما توفي سلطان تقرت ابعد افراد عائلته عن الحكم وتسلم حكم الواحة احد افراد عائلة ابن غاطه وهذا مااراده صالح باي وفي 12 تموز 1791م توفي داي محمد بسبب مرضه المزمن وكبر سنه وكانت وصيته انتخاب ابنه حسن بك من بعده كما انه دبر ذلك قبل وفاته ولهذا تسلم حسين بك الحكم دون أي عصيان فلم ينافسه على منصبه سوى اغا السباهيه فالى القبض عليه ورماه في السجن وصادر املاكه .

12 -عهد الدايات

كانت دولة النمسا ترتبط معنا باتفاق سابق وبما انهم يلتمسون التوسط لدى قراصنة اوجاقات الغرب بشن سفنهم والسفن التجارية التي ترفع علم النمساوي يطلبون من عدم الحاق الضرر بها ونحن تعهدنا بذلك واذا تم الاعتداء عليها فيجب دفع

قيمة الاضرار ولتجنب حدوث مثل ذلك فقد اصدر الصدر الاعظم امرا بذلك ووقع عليه وكذلك رايس الكتاب وسلمت نسخه الى قبطان داريا المتوفي حسن باشا ليبلغ امير امراء الجزائر بمضمونه ويفهم من محتويات الامر المذكور بان تراقب السفن المعادية وتحركاتها ويطلب منكم ابلاغ محتويات هذا الامر لعناصر الاوجاق والمرابطين وبموجبه عليكم اتمام نواقصكم والحصول على حاجياتكم والاستعداد على اكمل وجه من اجل التصدي لاخطار الدول العالمية فالقوه هي افضل وسيلة وعليكم ان تكونوا مثل قوة بقية تلك الدول وحتى اقوى منها ولدى وصول الحامل الافرنجي للكتاب والمرسل من قبل سفير النمسا

والمقيم في دار سفارته ان تسلموا الامر الشريف الى وكيل النمسا ومن اجل رسوم التجارة عليكم حماية النمساويين وصيانة املاكهم وبشكل خاص مونىء الامبراطورية النمساوية فعلى القراصنة من اوجاقات جزائر الغرب التقيد بمضمون الفرمان لانه قد تم الاتفاق بيننا وبين امبراطورية النمساوية كما يجب التعاون معهم بشكل مرض وجيد وهذا سيؤدي الى تقوية الروابط معهم لان ذلك تم برضا منه . ارسلت صورة عنهم الى اوجاق طرابلس الغرب كما صدر فرمان بخصوص السفن التي قدمت من اوجاقات الغرب للمحافظة على الاسطول الهمايوني متضمنا الامر السماح لتلك السفن بالعوده الى بلادها بعد ان ادت واجبها على احسن وجه على ان يتم اصلاح وتحسين هذه السفن . وفي سنة 1206هـ حدث خلاف بين الجزائر وطرابلس الغرب وعلمت استانبول بذلك فامرتهم الابتعاد عن مثل تلك الخلافات واكدت لهم ان هذه النزاعات لاتليق بالمسلمين فعليهم ضبط الاعصاب والاتفاق كي يزدادوا قوة ومتانه وفي 19 من ايلول سنة 1780 م قام محمد بك بقطع مجاري الماء عن وهران علاوة عن الحصار المفروض عليها وفي صباح يوم 9 ايلول 1790 م حدث زلزال مدة 3 دقائق تهدمت حميع المنازل والكنائس والاسوار وفي مساء نفس اليوم اندلعت النيران بسفينة بيرلانت التي تحمل 74 مدفع وحدث حريق في المدينة فهرع الكثير من الناس للنهب والسلب ومن جديد بدا الزلزال ثانية من يوم 6 تشرين الثاني 1790م ومع بدايتا لزلزال كاان محمد بك يهاجم المدينة وقد تمكن من جمع 1500 جندي تحت قيادة جونبره هرموسه وبدا بالتصدي لمحمد بك وفي 26 من التشرين الثاني وصلت الامدادات اليه من اسبانيا وقد وصله 7000 جندي مع الخيام والارزاق وفي 29 بدا محمد بك بالتراجع الى الوراء بعدما واجهته مقاومة عنيفة جدا وكان يامل وصول الامدادات اليه باقصى سرعة والا لن يتمكن من كسب شهرة عظيمة بين الاهالي الذين تطلعوا لكل امل الى محاولاته اقتحام المدينة ولم يستفد من الهجمات التي شنها في 3 و9 ايار و25 تموز وفي يومي 17 و18 ايلول سنة 1790م بالاضافة الى هجمات سنة 1791 . رات الحامية الاسبانية ان المصروف السنوي على الجنود وزهق الارواح والقلاع والموانىء المحاصرة بصورة دائمة خسارة بالنسبة لها وان اقامة الاتفاق وتسليم وهران

مرسى الكبير لجزائريين افضل واربح فارتفعت الاسعار وعمت المنفعة والفائدة سائر الامارات الجزائرية واصبحت فرنسا لاتستطيع تامين حاجتها من المواد الغذائية باسعار مناسبة فاضعفت التجارة الفرنسية كثيرا وعندما ظهر التمرد في قسنطين فكرت فرنسا بترك محلاتها التجارية في شمال افريقيا ومنذ ذلك الوقت بدات الاطماع الفرنسية واضحة للاستيلاء على جميع مقدرات الجزائر كما انها تريد السيطرة على املاكها واراضيها وتريد اقتلاع الاوجاق من جذورهم وازالة تاريخهم نهائيا تم اخلاء وهران نهائيا في اذار سنة 1792م وكان امير صنجق الغرب قد تلقى امرا بدخولها قبل ذلك الوقت ففي شباط دخل محمد بك وهران للواء براق ولامع وعامل السكان اسلام ومسيحين معاملة جيدة وحذر اصحاب السفن من زيادة الاسعار اثناء نقل الاسبان الراغبين للعودة الى بلادهم . وقد ارسلت مفاتيح وهران الى استانبول وقدمت هدية الى السلطان العثماني . تسلم حسين بو حنك امارة صنجق قسنطينة وحسين هذا هو ابن بو حنك حسن بك مات والده في قسنطينة ودفن في جامع سيدي الاخضر انتقل الى مدينة الجزائر خلال حكم صالح بك خوفا منه عم الهدوء والسكون مدينة قسنطينة خلال حكم حسين بك لمدة سنتين وقد تعرض لمرض عجيب وعندما غضب الداي منه قرر اعدامه فاخذه الى سجن القلعة الداخلية وخلال مرضه قتل خنقا في تشرين الثاني سنة 1794م وكان حسين كابيه ترك اثارا كبيره في قسنطينة . اتفقت الدول المتحالفة على الاتفاق مع اليهود في الجزائر من اجل منع بيع الازاق الجزائرية لفرنسا لكن اليهود خدعوا تلك الدول فالمتعهد الذي يؤمن الازاق للعساكر الموجودة في جبل طارق كان يهوديا وتعهدوا في تامين الارزاق للجيش الفرنسي مما سبب بجلب المصائب للجزائر . اثناء الاحتلال الانجليزي لمدينة طولون حكم على الفرنسيين العاملين ببلديتها بالاعدام ويعود السبب في ذلك الى عم القنصل الفرنسي فالير ونتيجة الى ذلك هرب الى قرطاجنة و طلب القنصل الفرنسي من حسن باشا التوسط له للحكومة الفرنسية ولكن الحكومة الفرنسية رفضت ذلك لان هذا الشخص ارتبك الخيانة بحق الوطن فانزعج حسن باشا وكلف امير قسنطينة باغلاق الشركة التجارية الفرنسية وقطع العلاقات معها حل مكان الشركة الافريقية الملكية للتجارة على الفرنسية وكالة افريقية

فعمد الفرنسيون الى عزل القنصل فالير لان الداي تمسك بطلبه بشان العفو عن عم زوجة القنصل ولم يسد القنصل الجديد فراغ فالير وحسن باشا لم
يستلطف الفرنسيين كما كان سابقا وغدا الفرنسيون عاجزون عن اخذ الارزاق من الجزائر ولكن بكري وبوشناق استمرا في امداد فرنسا كالمعتاد ولعدم وجود الاموال اصبح الفرانسيون يعطون سندات مقابل مايا خذونه من ارزاق وكما لجا الانجليز الى بكري لتهدئة الداي والتوسط لعقد صلح جديد فانحنى بكري على اقدام الداي طالبا منه العفو عن القنصل فلبى طلبه واودت بحياة الداي حسن باشا الدمل التي اصابت ساقيه بحياته في ربيع الاول سنة 1213هـ ز وخلال فترة مرضه اعلن الانكشاريون تمردهم وعصيانهم ونهبوا قصر الجنينة الى ان وصلوا الى غرفة الباشا فهرع وكيل الحراج ولحق بهم وقتل قسم كبير منهم وقاتل القسم الاخر وانتصر عليهم والفارون منهم لاحقهم في احياء المدينة والقى القبض عليهم واعدمهم واستمر كذلك الى ان اخمد العصيان والزمهم بالطاعة ووطد الامن والاستقرار .

-13عهد الدايات

عهد حسن بشا الى ابن اخيه مصطفى بك منصب الخزنجي بعد توسط بوشناق له للحصول على هذا المنصب وكان بوشناق يريده داي للجزائر لان باستلامه يزداد نفوذه لكن مصطفى بك لايرغب بذلك المنصب لانه حساس ومهلك لذلك اوصى بانتخاب اغا السباهية ولكن توصيته رفضت . كان مصطفى رجلا طماعا استولى على اموال عمه واخذها من عائلته بعدما سجنها مع والدها واولادها لرفضهم اخباره مكان النقود وجدد امور الصادرات ومارس اعمالا كثيرة للحصول على الاموال من الاهالي والقناصل فتضايق الجميع منه وحقدوا عليه . في 19 كانون الاول سنة 1798م جاء كبير البوابين القابجي باشي وبلغ الداي رسميا اعلان الحرب على فرنسا وبعد نقاش حاد قرر الديوان اطاعة الامر فاسجن القنصل الفرنسي وكبير الكهنة والعاملين بالقنصلية وعددهم 12 شخص ولكنه اخرجهم من السجن بعد ذهاب القابجي باشي قدم بكري بوشناق مساعدات كبيره للفرنسيين وردا على هذه المساعدات امرت حكومة الدير كتوار في فرنسا بحجز المراكز التجارية في مرسيليا وسجنت الاتراك

والرعايا الجزائرين الموجودين في فرنسا . ارسل القنصل الفرنسي مولتيدوا رسالة الى حكومته حول المعاملة الحسنة التي قدمها الجزائريون لهم فرفض طلبه وفي 13 ايار 1800م قدم الى الجزائر دي بوا تانفيل برفقة القنصل الفرنسي مولتيدوا باقامة الصلح مع الجزائر وعقد معاهدة توجه الفرنسيون الى القنت وبعد 10 ايام ارسل مصطفى باشا رسالة الى القنصل الفرنسي الاول يخبره بانه كان مجبرا على هذا التصرف وانه هدد من السلطان بتوجيه اسطول لاحراق الشمال الافريقي ان لم يلتزم وهو الان يجهز بعض السفن لهذه المهمة وطلب من القنصل عدم السماح لاي شخص بالاطلاع عليها (الرسالة) عقب مغادرة السفن الفرنسية للجزائر تجول القراصنة في البحر واستولوا على عدة سفن للنمسا والبندقية ولوجود معاهدة بين الدولة العثمانية والنمسا فانها ستدفع الاضرار والتامينات في خزينتها العامرة وخاصة ان الجزاءر وافقت على تلك العاهدة ولهذا ارسل شخص من قبل النمسا لاستلام السفن المصادره ومزود بفرمان تحذير من تكرار مثل ذلك مسقبلا . اما الجزائريون فمنذ عدة سنوات وهم يتحملون عناد الداي بشان امتيارزات واعتبارات اليهود الذين كانوا ينفقون الاموال الطائلة على الداي سرا لتحقيق اهدافهم وتثبيت نفوذهم داخل الجزائر ولم يقوموا باي دور سياسي بشكل علني وصريح وعندما يشعرون بضيق يوزع الهدايا على ذوي المناصب العالية والمهمة وفي الاعمال الخيرية للحصول على رضا الجميع . كما كانوا يحاولون باموالهم الكثيرة التاثير على ذمة وشرف الحكومة ودفعتهم قوتهم السرية ونفوذهم القوي لحد الهوس بضرب اقدامهم بالميدان وفي ذلك الزمن لاحظوا بان التبعية التركية لم تفهم جيدا وتناسوا عن قصد بانهم لايضرون الاانفسهم لان الغرور التركي اعلى من طمعهم وجشعهم بعد مقتل بوشناق اجتمع الانكشاريون صباح 30 اب 1805م وقرر انتخاب حجة الخيل احمد بك داي عليه لان بوشناق سبب عزله وابعاده عن منصب الداي فطلب الداي مصطفى باشا السماح له باخذ امواله وعياله والابحار الى الديار العثمانية فارفض الانكشاريون عن ذلك وصمم الانكشاريون مصادرة املاكه واعدامه وبينما كان الباشا والخزنجي يحاولان التجا الى احد الاماكن راهم العصاة فالحقوا بهما وقتلوهما وبدا الاهالي يجرون اجسادهما في المدينة بعد انتخاب حجة الخير احمد بك استمر الاضراب

شهرا كاملا لان اغا السباهيه يريد هذا المنصب ولعدم انتخابه ابدا عدم رضاه وحاول اسقاط الداي الجديد لاستلام منصبه ولهذا استمرت الفوضى بالمدينة .

-14 عهد الدايات

كان الداي متعلما ومثقفا وحازما ولكنه غدار وقاس جدا وبغية القضاء على الفساد السائد في البلاد القى القبض على اغا الانكشارية وقطع راسه فتمكن بذلك من توطيد الامن والاستقرار في البلاد اما صنجق الشرق قفد كان يعيش مرحلة فوضى وفساد منذ سنتين فعمل الداي على تهدئة الوضع فيه . تمكنت بعض بلوكات الانكشارية من التغلب على ابن الاحرش بجوار سيطف بعدما قدمت ال المقراني لهم مساعدات كبيرة وفي سنة 1807م / 1222هـ هزموه ثانية في الربطة واسفرت معركة كبيرة جدا عن مقتل ابن الاحرش وبعد زمن قليل ظهر منافق جديد بعدما اوشكت على الانتهاء فلاحقه امير صنجق الغرب مصطفى بك في كل مكان وبعد 4 سنوات من المعارك الجانبية قتل في كمين بالقرب من سي امعراني .كان احمد باشا يريد الضرائب المستحقة من امير تونس بعدما صرف نظره عن طبرقه واذاكان قد عملا ومنا طويلا من اجل حل هاتين المسالتيين لكنهما لم يتفقا على حل المسالة النقود لذلك اندلعت الحربي بين الولايتين . زحف الجيش التونسي بقيادة الكخيا الكاهيه سليمان قسنطينة ولدى اول اصطدام هوم حسين بك وانسحب الى بلدة جميلة لجمع قواته اما الكخيا سليمان فقد قصف المنصورة بالمدافع لمدة 30 يوما لكن الاهالي دافعوا عن مدينتهم بكل شجاعة وبسالة كانت استحامات الكاف قوية ومزودة بمدفعية كافية لكن بك قسنطينة اهمل مواقعة بسبب انشغاله بالمحاصرة وبقي بدون تدبير وتنظيم وحالما سئم المحاصرون من ذلك عمت الفوضى صفوفهم فترك المقاتلون المحليون القتال عائدين الى اراضيهم لجمع الحصاد . في 7 من تشرين الثاني 1808م هاجمت قوة انكشارية مؤلفة من 500 شخص قصر الجينينة وبعد اقتحامهم الابواب القصر احتلوا الممرات وصالونات القصر فحاول الداي الفرار عن طريق السقف لكن العصاة لم يسمحوا له بالفرار لانهم اطلقوا النار عليه فسقط ارضا فاسرعوا اليه وقطعوا راسه وجروا جثته في ازقة المدينة . عقدت جماعة

المحبة بهدوء ونظام اجتماعا في الثكنة الخضراء برئاسة عمر اغا وقررت بالاجماع قتل علي خوجه وفي 7 من شباط سنة 1809م / 1224هـ هجمت مجموعة من الانكشاريين على القصر وارادوا اجبار الداي على الانتحار بالسم فرفض ذلك بحجة ان الدين يحرم ذلك فقتلوه خنقا استمر حكم الداي علي خوجه مدة 4 شهور من 7 تشرين الثاني 1808م وحتى 7 شباط 1809م . رفض عمر اغا استلام منصب الداي فانتخب حجة الخيل علي خوجة دايا على الجزائر . بمناسبة جلوس السلطان محمود الثاني على كرسي السلطنة ارسل اوجاق الجزائر الهدايا والتحف الثمينة مع السفينة هدية له وقد اهتم السلطان محمود الثاني بالهيئة اهتماما كبيرا واكرمها تكريما عظيما وردا على هديتهم واعترافا منه بحبهم ارسل اهم فرقيطة وسفينة وكميات من الحديد والخشب والقنب والقطران وبعد ان جمعت الهيئة الهدايا المقدمة لها عادت الى الجزائر مع بداية سنة 1810م / 1225هـ.

-15 عهد الدايات

كان الداي علي باشا عبوس الوجه كثير الظن مدمنا على الافيون مستبدا برايه اذاحصل على استحقاقه من الافيون يصبح شبه مجنون واذا اخذ زيادة عن استحقاقه يصبح متهورا فاقدا لوعيه وعقله وكان الزمن الممكن به رؤيته بكامل قواه القلية قليل جدا معظم الدايات كانوا سفاكين للدماء الا ان الداي علي فاق اقرانه كما انه امتاز عنهم بذوقه الخاص في ابتداع اساليب التعذيب فقد كان يزين باب عزون بالرؤوس المقطعة وكان التعذيب على الدولاب والتعليق بالشناكل والخوزقة شيئا محببا له ويسر برؤيته ويتلذذ به لكنه كان مثقفا ويجيد القراءة والكتابة . في سنة 1808م ارسل نابليون المقدم بوتان الى الجزائر لدراسة حصونها والمناطق المحيطة بهاو اعداد الخرائط اللازمة لذلك وقد حقق نابليون من الخرائط التي قدمها بوتان فوائدة كبيرة . لقد نجحت الجزائر هذه المرة من خطر بسبب النزاع والخلافات القائمة بين الدول الاوربية واجبر الفرنسيون للتراجع عن شن هجوم ضد الجزائر كما ان علي باشا لم يكف عن طلب الديون من الجمهورية الفرنسية بل اطرها بالتهديدات وفي اواسط جمادى الاخر سنة 1226هجاء فرمان من استانبول ينص على ابقاء علي باشا في منصبه .استمرت الفوضى تعصف في مختلف مناطق الجزائرية ففي سنة 1810

م تمرد القبليون وتمكنوا من هزم قوات صنجق الشرقي وعلي باشا يامر قادته بتدمير استحكامات (الكاف) واحتلال تونس واخضاعها لسلطة الجزائر .في التاسعة صباحا ارسل اللورد اكسموث مندوبه يطلب جوابا نهائيا خلال ساعتين لكن الداي رفض اعطاء جواب نهائي في هذا الصدد وفي الثانية والنصف خرج عضو البرلمان البريطاني من الميناء واعطى اشارة الى عدم الاتفاق . ساعدت الرياح الشمالية التي هبت خلال تلك الفترة الاسطول على الاقتراب من المدينة الميناء واصبحت سفن الاسطول لا تبعد عنهما اكثر من ميل تقريبا وقد تم الاتفاق على الاشارة القصف من مركب المفاوضات الذي يحمل عضو البرلمان وبعد هذه الاشارة تبدا المعركة وكان الاميرال فوق السفينة شارلوت سفينة الملكة . خلال حكم الدايات كان الاستبداد يزداد باستمرار وكان الداي علي باشا مصابا بداء الاستبداد والظلم فقد حجز على القمح بحجة تعرض البلاد للقحط وقتل كل من يجاول بيع القمح ونتيحة لمصادرته القمح خلت البلاد نهائيا منه كما اصدر امرا برمي النساء الفاحشات في البحر وبصعوبة بالغة تمكن مقربون من تعديل هذا القرار فبدلا من رميهم في البحر امر بنفيهم الى شرشال وفي بداية سنة 1818م / 1233هـ مات الداي علي باشا نتيجة لاصابته بوباء الطاعون .

16- الانهيار والاحتلال

عندما كان الداي علي على فراش الموت اوصى باسناد منصب الداي للخزنجي حسين اغا الذي ولد سنة 1779م في مدينة دينزلي جاء مع اخيه للجزائر فعمل صيادا للسمك وبعدها دخل للجيش الانكشاري وترفع الى ان اصبح حجة الخيل وبتقربه من مفتي الجزائر اتفق معه اذا تولى منصب الخزنجي تزوج ابنته فتوسط له المفتي ولكن حسين لم يلتزم بوعده فبعد استلامه للمنصب ب7 ايام قتل المفتي ورفض منصب الداي الى انه قبل الاستلام بسبب الحاح جميع الاطراف واعلانه القبول اطلقت المدفعيه ايدان باستلام منصبه الجيد وكالعادة جاء فرمان من استانبول بتوصيات الدولة العثمانية . تمكنت قرى برغلي علي بك بقوته واستقامة ادارته من توطيد الامن في صنجق الغرب ففي سنة 1817م عند تسليم ضرائب

الصنجق الداي خاف الداي من نفوذه واعلانه للاستقلال فامر بقتله فقتل خنقا بجوار مليانه . اعلن الابن الاكبر لسيدي احمد التيجاني محمد الكبير استقلاله في عين ماضي وتوجه لتاديبه يحي بك وقد حاول يحي اغا الاستعانة بفرسان قبيلة عمرواه لكن الخيال المذكورين رفضوا الذهاب معه وزاد الخخلاف بين محمد الكبير ويحي اغا واسفر الصراع عن تحطيم برج بوغني في سنة 1323ه ثار سكان مناطق بجاية واحتل ابنه عباس ممر بيبان ولم يتمكن افراد قبيلة بني كانون من اخراج بني العباس من المنطقة الا بصعوبة بالغة وفي سنة 1820 ارسل حسن بك جنوده لمحاربة ابن التيجاني في عين ماضي واثناء مسارهم اليه هاجموا المناطق المجاوره ونهبوها وقصفوا واحات كثيرة ليكون قد حصل على انتصار جزئي وفي سنة 1820 م شن بنو عباس هجوم مفاجىء على بني كانون وحرقوا 12 قرية فكلف يحي اغا لتاديبهم على راس جيش مؤلف من 1000 انكشاري و 800 جندي محلي . بعد سقوط الجزائر اعلنت استانبول الاضراب وايدتها كافة الاطراف ولم يكن هناك قوة كافية لاعادة الحق لانهم من المستحيل الوصول الى الجزائر وبعد ذلك بمدة كان البحار العثمانيون يتفاخرون بذكر امراء الجزائر في البحر وكان هذا عنوان قبطان درية (امير البحر) ولكن كل مانملكه هو الاسف والتاسف على تلك الحقيقة من العصر الذهبي القوي والجميل في الجزائر ولكن هل يجب ان يكون الامر كذلك .

-17 مسكوكات اوجاق الجزائر

كانت النقود تطبع باسم السلطان العثماني منذ عهد خير الدين باشا وكان لتونس والجزائر وطرابلس الغرب حاليا (ليبيا) دار خاصة بكل منهم لضرب النقود بها ولهم عملة معدنية ايضا . يوجد عدد من النقود الذهبية ضربت باسم السلطان سليمان القانوني وقد نقشت هذه النقود في تلمسان ويعود تاريخ اقدم عمله معدنية ضربت في طرابلس الغرب لسنة 979ه ففي سنتي 981و 982ه كان يوجد قطع ذهبية نقدية بتاريخ 986ه كما وجد ايضا عملة فضية ونحاسية .

السلطاني:وهي عملة نقدية ذهبية تماما،وقد وجدت اجزاء لهذه القطع بمقدار الربع والنصف ودون عليها ما دون على القرش وشوهدت عملة نقدية مربعة الشكل مصنوعة من الفضة

وضربت في زمن السلطان احمد بن محمد خان والسلطان مراد بن احمد خان واستعملت في تونس .

اطلق اهالي تونس والجزائر وطرابلس الغرب على النقد الاسباني(بو مدفع)وقد تداول الاسبان الذهب في اعمالهم التجارية ونشاطهم السياسي وكانت نقود الولايات الثلاث(الجزائر-تونس-طرابلس الغرب)مقبولة ويتعامل بها الاسبان كذلك فقد تداولت العملة العثمانية في ولايات الغرب .

تلخيص

الطالب / علي سالم خلوفه

درجة الماجستير